رحلة مصطفى محمود

عجائب بنى إسرائيل

إعداد

إيهاب كمال

دار الروضة

للدراسات الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الروضة

حائز على شهادات تقدير
من المعارض الدولية والعالمية
• عضو اتحاد الناشرين المصريين والعرب •
• عضو الاتحاد الإسلامي العالمي للدعوة والإعلام •

رقم الإيداع
٢٠١٧ / ١٧٣٠٠

الترقيم الدولى :
978-977-458-168-1

الناشر
دار الروضة
للنشر والتوزيع
2 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية تليفون : 25066884

المقدمة

عندما كنت طفلًا صغيرًا، كنت أتشوق لذلك الناي الحزين الذي يعلن بدأ برنامج "العلم والإيمان"، لأنني كنت أعلم أن الدكتور مصطفى محمود سيأخذني في رحلة جديدة معه لأكتشف العالم من راحة منزلي.

إلى أين يا ترى ستكون الرحلة هذه المرة؟ هل إلى غابات أفريقيا، حيث أتعلم عن القبائل البدائية، وطرق معيشتها؟ أم إلى الفضاء، وكواكبه المتناثرة؟ ربما حديث عن المريخ، أو الصعود على القمر؟ ولربما كان بعيدًا عن هذا كله، فكان حديثًا حول مسألة الموت، وماذا بعده؟ حقًا لا أبالي، فالشيء الوحيد الذي كنت متأكدًا منه، أنه شيء سيذهلني، وسيشعل عقلي فضولًا.

كبرت، وودعت رعونة المراهقة. ولكنني أيضًا استقبلت أسئلة ثقيلة: لماذا أنا هنا؟ لماذا نحن هنا؟ كيف وجدت؟، أبي وأمي والمدرسة والمسجد يقولون لي أن الله أوجدني، لأعبده. ولكن المشكلة في هذه الأسئلة أنه لا يصح فيها تلقين الإجابة. لا بد على كل أمرؤ أن يجد جوابها بنفسه.

كنت أفتش يومًا في مكتبة أبي القديمة، فوجدت كتابًا يدعى "أينشتاين والنسبية"، كان اسم المؤلف مألوفًا، ولكنني تفاجأت أن مقدم برنامج العلم والإيمان يكتب كتبًا أيضًا! فبدأت أقرأ، وأقرأ، مستمتعًا بنفس الأسلوب السلس المسلي الذي اعتدته في برنامج العلم والإيمان، ولحسن حظي، لم يكن كتاب "أينشتاين والنسبية" الكتاب الوحيد في مكتبة أبي للدكتور مصطفى محمود، فانهلت على كل ما وصلت إليه يداي قراءةً وتدبرًا، ولم أجد إرهاقًا أو أي شيء من هذا القبيل، لأن كتب الدكتور تسلي أكثر من قراءة الروايات! ولقد كانت تلك الكتب آخر ما أقرأ قبل نومي، ولربما كان هذا خطأ فادحًا، لأنك لن تستقبل النوم بعد أن يشعل الدكتور رأسك أسئلةً.

اليوم أنا في بداية عقدي الثالث، ومجموع حصيلتي من كتبه، قرابة العشرين كتابًا،

ولكن ذلك مازال بعيدًا عن شمول مؤلفاته كلها، فمؤلفاته تجاوزت الثمانين كتابًا. ومع ذلك أستطيع أن أجزم اليوم، أن العشرين كتابًا التي قرأتها، كونتني. فأزال من صدري كل الشكوك كتاب "حوار مع صديقي الملحد"، وأنار دربي في رحلة البحث عن الحقيقية، رحلة الدكتور الشخصية "رحلتي من الشك إلى الإيمان".

وفتح على فكري مدارك واسعة كتابه "علم نفس قرآني جديد"، حيث قدم نظرية علم نفس جديدة مبنية على الوحي القرآني، والتي هي بالنسبة لي نظرية أشمل وأدق من علم النفس الحالي، ولا أنسى كتاب "لغز الحياة"، والذي أمسك فيه الدكتور بيدي في جولة في نظريات الحياة والتطور والطبيعة. وغيرها كتب أخرى، لا يسعني ذكرها هنا.

لم يترك الدكتور مجالًا إلا كتب فيه، فله مؤلفات في الفلسفة، والعلوم، والدين، والسياسة، والمسرح والقصة والرواية! ومع اتساع دائرة مؤلفاته، وعمق مواضيعها، أستطاع الدكتور أن يقدمها كلها بأسلوب سهل شيق يناسب الجميع.

كم مرة أذكر أنني تلفظت بالشهادة عندما أنهيت أحد كتبه، لأنني وقتها شعرت أنني أسلمت الآن! فقبل كل هذا لم أكن سوى وارث للإسلام. والاقتناع بالإسلام شيء آخر تمامًا.

الإقتناع بالإسلام يعني رحلة من التفكير والبحث بأسلوب منطقي بعيد عن كل الأهواء والإفتراضات. وهذا دون يد تساعدك أو ترشدك أمر شبه مستحيل. والحمد لله أن الدكتور دون رحلته وشكوكه وأسئلته، فبذلك اختصر على الناس الكثير. وكان يدًا ترشدك إذا ما ضللت الطريق.

"أنا حقابل ربنا بشوية كلام؟!". هكذا قال عندما كان يتحدث في أحد اللقاءات التلفزيونية، فلقد وصف قرابة التسعين كتابًا بـ "شوية كلام"! ولهذا لم يتوقف إنتاج الدكتور على هذه الأمور، فقام بإنشاء مسجد في القاهرة، وأسماه باسم أبيه: "محمود". وألحق بالمسجد ثلاث مراكز طبية، وأربع مراصد فلكية، ومتحفًا للجيولوجيا!

قبل سبع سنوات، ذهبت روحه الطيبة إلى لقاء ربها. ولكنها لم ترضى أن تترك هـذه الدنيا قبل أن تترك شيئًا عظيمًا من نورها. الدكتور مصطفى محمود أدرك أهمية الإعـلام في نشر الوعي الذي يؤدي بدوره إلى نهضة الشعوب، فقام باستخدام كل الوسائل التي وصل إليها، لنشر رسالته.

أتأمل كثيرًا في الفضل الكبير للدكتور علـيَّ مـع أننـي لم ألقـه يومًـا، وأتخيـل عـدد الأشخاص غيري الذين تأثروا به. إنه لأمر جميل حقًا أن تترك هذه الدنيا دون أن تغادرها! بأن تضع بصمة تساهم، ولو قليلًا، في تغيير هذا العالم.

وفي هذه السلسلة سنحاول استلهام أفكار وكلمات هذا الكاتـب والمفكـر الكبير ونحاول أيضاً أن نستخرج أفكار ورؤى رائعة من بين سـطوره ولقاءاتـه في برنامجه الرائع الغلم والإيمان.

***

ما الذي قاله د. مصطفى محمود .. وأزعج إسرائيل ؟

بعد أن شيعه محبوه لمثواه الأخير ، قررت أسرة المفكر والعالم المصري الكبير د. مصطفى محمود أن تبوح بما لديها من أسرار بعد أن ظلت طي الكتمان سنوات طوال ، إذ ليس هناك بعد رحيل الأب ما يمكن خسرانه ،وقال نجل الراحل "أحمد" أن ضغوطا سياسية مورست لوقف برنامج "العلم والإيمان" فائق الشهرة وهو ما تسبب في أول الأزمات الصحية والنفسية الكبيرة التي تعرض لها ، وأن إسرائيل كانت تتربص به دائما لأنه كان يفند أكاذيبها بأسلوب علمي موضوعي في كتبه وبرامجه التليفزيونية .

من أبرز كتابات مصطفى محمود التي تعرضت لحقيقة إسرائيل : " إسرائيل البداية والنهاية، الغد المشتعل، المؤامرة الكبرى، على خط النار، ألعاب السيرك السياسي " وفيها تناول علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية ، ونهايتها الحتمية ، فماذا قال ؟ .

في كتاب "إسرائيل البداية والنهاية" يؤكد د. مصطفى أن الغرب وأمريكا بالتحديد تبتز العرب للقبول بوجود إسرائيل بينهم وإفساح المكان لها ولاقتصادها بل والتوقيع على معاهدات سلام مع الكيان المغتصِب وبشروطه ! ، ويعرض جزء مما قالته المنظمة الصهيونية العالمية عن مصر في مجلة "كيفونيم" أو "التوجهات" عدد فبراير ١٩٨٢ (الصفحات ٤٩ – ٥٩).

"إن مصر بصفتها القلب المركزي الفاعل في جسد الشرق الأوسط نستطيع أن نقول إن هذا القلب قد مات وأن مصر مصيرها إلى التفتت والتمزق بين المسلمين والأقباط، ويجب أن يكون هدفنا في التسعينات هو تقسيمها إلى دولة قبطية في الصعيد ودولة إسلامية في الوجه البحري، وفي لبنان التي ستخرج منهكة من الحرب الأهلية سيكون الأمر أسهل في تقسيمها بين الطوائف المتقاتلة إلى خمس محافظات شيعة وسنة ودروز وموارنة وكتائب، وسوريا نستطيع أن نقسمها إلى دولة شيعية بطول الساحل

ودولة سنية في منطقة حلب وأخرى في دمشق وكيان درزي في جزء من الجولان، والعراق الغني بالبترول والمنازعات الداخلية ما أسهل أن يقع فريسة الفتن إذا أحكمنا تخطيطنا لتفكيكه والقضاء عليه".

ويقول محمود هكذا يخططون للدول العربية فكيف نأتمن هؤلاء الناس على أرضنا؟ ويتابع إذا أضفنا إلى هذا طبيعة الغدر عند هؤلاء الصهاينة حتى مع حلفائهم وقتلهم للكونت برنادوت سكرتير الأمم المتحدة ومساعده عقب التقرير الذي قدمه في ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ عن جرائمهم في فلسطين المحتلة، واللورد موين الوزير المفوض الأوروبي الذين اغتالوه في ٩ نوفمبر ١٩٤٤ على يد اثنين من جماعة شتيرن التابعة لإسحاق شامير، ثم إغراقهم في الثامن من مايو ١٩٦٧ لسفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" وقتلهم لأربعة وثلاثين بحاراً أمريكياً وجرحهم ١٧١ آخرين وذلك لتغطية احتلالهم للجولان والأمريكان وقتئذ أعز صديق وحليف لهم، فإذا كانت هذه أخلاقهم مع حلفائهم فكيف نأتمنهم على أرضنا وهم أعدائنا؟

وفي نفس الكتاب يقول مصطفى محمود ماذا تساوي إسرائيل بالنسبة لمصر؟! ويجيب إن الإنسان يساوي بمقدار فعله وأثره على جيرانه وما يصلنا من إسرائيل عبر منافذ سيناء والأردن هو المخدرات والدولارات المزيفة والجواسيس وغيرها، وما ينال الجيران العرب منها هو نهب الأراضي الفلسطينية وتهديد سوريا وضرب الأراضي اللبنانية وسكانها بالقنابل هذه هي صداقتهم ومحبتهم.

وإسرائيل تتخذ لظلمها أسماء جديدة فنهب الأرض تسميه تصحيحاً للأوضاع والاستعمار تسميه استيطاناً وقتل الجار الفلسطيني تسميه عدالة، وتعذيب السجناء تسميه شرعية قانونية وتسن له قوانين جديدة تبيحه وتفرضه، والتجسس تسميه بعثات إعلامية والعدوان تسميه سلاماً.

يؤكد مصطفى محمود أنه بالرغم من التهديدات الإسرائيلية والضجة التي تثيرها حول قوتها العسكرية فمازالت أضعف بكثير من الهالة التي تصنعها لنفسها وتلويحها

بالحرب هو محاولة فجة للإرهاب والضغط الدبلوماسي على أعصاب المفاوض العربي، ومازال سلاح الوحدة العربية الصلبة إذا اكتملت أقوى من كل هذه الضجة المفتعلة والمطلوب موقف جماعي حاسم من على منبر الجامعة العربية.

قفزت إسرائيل إلى الصدارة من حيث القوة السياسية المؤثرة في العالم في فترة خاطفة من اختلال الموازين حينما انفردت أمريكا بالحكم وأصبحت قطباً وحيدا حاكما لمصائر العالم وقيامها بدور الحاضنة والمرضعة للفرخ الإسرائيلي الكسيح، فأرضعتها التكنولوجيا الحديثة والأسلحة المتقدمة وأطنان اليورانيوم المخصب لصناعة قنابلها الذرية، هذا بالإضافة لتغذيتها المستمرة بالأسرار المحظورة وصور الأقمار الصناعية لترسانات دول الجوار، وتمويلها بمليارات الدولارات، والتآمر والتحالفات بين مخابرات الدولتين.

طبيعة التهديد

يقول د. مصطفى محمود في كتابه أنه ربما كان بعض من الشعب الإسرائيلي يريد السلام ولكنهم ليس لهم صوت فعال ولا تأثير على السلطة المتطرفة الموجودة، وتتمثل الخطة الصهيونية في الإعداد لعملية التفاف سياسي لتطويق مصالح الدول العربية وعملية التفاف إفريقية للوصول إلى منطقة البحيرات ومنابع النيل لتهديد مصر.

لقد كشفت المخابرات الفرنسية عن عمليات تسليح إسرائيلية مكثفة لمليشيات التوتسي والهوتو المتناحرة برواندا وبوروندي وزائير، وذلك لنشر الموت في القارة الإفريقية حول حزام البحيرات الكبرى ولكسب صداقة العصابات الإجرامية هناك تمهيداً لأشياء أخرى في المستقبل.

واستراتيجية أخرى تدور في كواليس الهيئة الروسية الحاكمة تتمثل في تسلل شخصيات صهيونية إلى مقاعد صنع القرار مثل الملياردير بيريزكوفسكي الذي أصبح نائباً للأمين العام لمجلس الأمن القومي الروسي وهو يهودي وحامل الجنسية الإسرائيلية ويملك أكثر من قناة تلفزيونية وصحيفة في روسيا وله عبارة مشهورة "إن اقتصاد روسيا في يد سبعة من اليهود يسهمون بأكبر نسبة في بنوكها" وهذا جزء من جبل الجليد المختفي

تحت الماء والذي لا نعرفه عن النفوذ الصهيوني في روسيا.

مما يعني تهويد الموقف الروسي من السياسة الخارجية عند اللزوم وتحييدها وربما أكثر من ذلك عند الصدام المرتقب، ويتابع أن هذا التسلل الصهيوني إلى إفريقيا وأسيا حديثاً وإلى القمة الحاكمة في أمريكا وانجلترا وأوروبا قديماً في محاولة التفاف سياسي واستراتيجي هو أمر لا يصب في فراغ وإنما يعني أن الصهيونية تعد لاستراتيجية كبرى تواجه بها حرباً قادمة لا شك فيها.

ويقول د. مصطفى محمود أن الإسرائيليين يتعمدون إلى استفزازنا بإتباع هذه السياسات الخرقاء التي يمكن أن تؤدي للصدام والحرب فهل يخططون لدفعنا للحرب ويستدرجوننا إليها؟

الذي قاله مصطفى محمود وأزعج إسرائيل باروخ سبينوزا العقدة اليهودية

المشكلة اليهودية هي في اليهود أنفسهم وليست في اضطهاد العالم لهم فهم الذين يأججون الفتن ويخلقون المشاكل، يقول فيهم القرآن ﴿**كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾ (المائدة:٦٤).

فهم الذين يصنعون الفتن والصهيونية فكراً وسلوكاً موبوءة بالتعصب العنصري وبعقدة الخوف والحقد وأوهام التفوق والرغبة في التنكيل بالأخر والسيادة عليه، ولم يكن القرآن الوثيقة الوحيدة التي اتهمتهم وإنما أنبياؤهم اتهموهم من قبل القرآن والإنجيل.

يقول فيهم النبي أرميا : "مثل خزي اللص إذا وقع هكذا خزي آل إسرائيل، هم وملوكهم ورؤساءهم إذ يقولون للخشب أنت أبي وللحجر أنت والدي لأنهم أداروا نحوي قفاهم لا وجههم ..وفي وقت مصيبتهم يقولون لي :قم وخلصنا..فأين آلهتك التي صنعت لنفسك فيقوموا إن استطاعوا أن يخلصوك في وقت بليتك لأنه قد صارت آلهتك بعدد مدنك يا يهوذا لماذا تخاصمونني ؟ كلكم عصيتموني يقول الرب: ضربت أبناءكم بلا فائدة إذ لم يقبلوا تأديباً سيفكم أكل أنبياءكم كأسد مفترس".

وقد حاول مفكرون يهود على مر التاريخ أن يعالجوا هذه النفس اليهودية فلم ينجحوا ولم ينالوا من أبناء جلدتهم إلا السخرية والتجريح ، ومنهم باروخ سبينوزا والذي أمن بأن نهاية شقاء اليهود وشقاء العالم بهم لن يكون إلا بتخلصهم من النعرة القومية والأفضلية العنصرية التي تفسد ما بينهم وبين الناس، وكان يرى أن التمسك بفلسطين والعودة إلى أرض الأجداد وإقامة الهيكل عقدة وهمية وأسطورة وأن الله في كل مكان وهو يسمع الدعاء من أي بقعة في الأرض فما كان جزاؤه إلا اتهامه بالكفر والتآمر على قتله.

الذي قاله مصطفى محمود وأزعج إسرائيل المؤامرة الكبرى تصفية الخصوم

في أحد فصول كتابه "المؤامرة الكبرى" يقول مصطفى محمود أن القرآن كان صريحاً وقاطعاً في أن نهاية إسرائيل وتدميرها سيكون على يد المسلمين، ولذلك سعوا مبكرا للقضاء على شوكة الإسلام . ويتناول محمود ما ذكرته مجلة "نوفيل افريك" الفرنسية أن جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" هو الذي يقوم بتدريب القوات الصربية على المذابح الجماعية وقطع الأطراف وغيرها من فنون الموساد لتعذيب المسلمين بأوروبا ، كما ذكرت أن القوات الصربية قد اختارت بنكاً إسرائيلياً لتودع به أموالها ما يكشف لنا عن الحلف المشبوه!.

وفي كتابه "الغد المشتعل" يقول مصطفى محمود في فصل بعنوان "التطبيع أم التركيع" أننا لسنا أعداء للدين اليهودي كدين ولا لليهود كيهود ونحن ننحني احتراما وتبجيلاً لعباقرة اليهود الذين نفعوا الإنسانية فقد انفرد الإسلام بالسماحة أكثر من أي دين، ولكننا ضد الصهيونية كفكر عنصري وعدواني مفسد يريد الهيمنة على العالم بأي سبيل.

الذي قاله مصطفى محمود وأزعج إسرائيل الغد المشتعل

وان أخطر ما في الصهيونية أنها ركبت النظام الأمريكي واتخذت من الزراع الأمريكية القوية سلاحاً باطشاً لتحقيق أغراضها وراحت تضرب المسلمين في كل مكان بحجة أن الإسلام هو العدو الباقي للحضارة بعد انهيار الشيوعية وهي أكذوبة ساذجة

يخفون بها حقيقتهم فهم وحدهم أعداء الحضارة وأصبح العالم الغربي يصدقهم ويسير وراءهم مسلوب الإرادة.

ويتساءل أليست فضيحة لأمريكا أن تطارد باكستان وتوقع عليها عقوبات بسبب برنامجها النووي، وتحكم بالموت على الشعب العراقي بسبب مظنة برنامج نووي، وتهدد إيران وكذلك الحال في إيران وكوريا الشمالية بينما تبارك الترسانة النووية التي بنتها إسرائيل وتؤيدها.

وبعد هذا تطالبنا بالسلام والتطبيع وماذا يكون هذا التطبيع أمام تلك القوة النووية الغاشمة؟ أهو تطبيع أم تركيع، أهو سلام أم استسلام؟.

على خط النار

في كتابه " على خط النار " ذكّر د. مصطفى بجرائم إسرائيل التاريخية والمتوالية حتى اليوم في فلسطين ، ودعا لرفضها بالإجماع ومقاطعتها عربيا وإعلان المقاومة على جميع المستويات .

الذي قاله مصطفى محمود وأزعج إسرائيل على خط النار

وفي فصل بعنوان "أمريكا وإسرائيل" يقول أنه افتضحت العلاقة العضوية المتينة بين كل من أمريكا وإسرائيل عقب الهجوم الإرهابي الذي قامت به إسرائيل على لبنان وضربت البنية التحتية وأضرمت النيران في بيروت رداً على ما فعلته المقاومة اللبنانية لتحرير الجنوب ، وجاءت المكافأة الأمريكية الفورية حينها بإعلان البنتاجون الموافقة على تقديم معونات عسكرية عاجلة لإسرائيل وبناء قاعدتين للتدريب العسكري، وانطلقت وزيرة الخارجية الأمريكية حينها مادلين أولبرايت لتشيد بالعلاقات القوية التي تربط بين كل من إسرائيل وأمريكا منذ أكثر من نصف قرن.

ويتابع محمود أن أمريكا تستعمل إسرائيل لتكون يدها الباطشة في الشرق الأوسط والتي تتحول إلى يد عابثة ومخربة أحياناً فالشرق الأوسط يعني البترول وكنوز الطاقة والمستقبل.

السيرك السياسي

يتساءل مصطفى محمود في كتابه "ألعاب السيرك السياسي": لا أعرف لماذا يبكي اليهود أمام حائط المبكى؟ فلسطين أخذوها والفلسطينيون طردوهم، والقنابل الذرية أمتلكوها، والصواريخ صنعوها، وشعوب العالم خدعوها، وأمريكا استنزفوها.

الذي قاله مصطفى محمود وأزعج إسرائيل العاب السيرك السياسي

ويتابع إن وعد بلفور هو الذي زرع هذا السرطان في الشرق الأوسط وزرع معه المأساة والصراع والدمار في المنطقة، وبريطانيا هي التي ساندت الجريمة، وأمريكا التي مولت ورعت ووضعت كل إمكاناتها في خدمة إسرائيل وضحت بسمعتها كأمة تمثل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان لتكون رهن إشارة ثلاثة ملايين إسرائيلي يدوسون على قيم العدالة والبراءة، فإذا صرخ العالم أو احتج قالت أمريكا "فيتو"، وقذفت بها في وجه إجماع هيئة الأمم المتحدة.

ولكنه بالنهاية يؤكد أن كلمة العرب يوما ما ستجتمع ، ولن تنفع إسرائيل كل ترسانتها العسكرية والحشد الأوروبي في صفها .. حينها سيأتي هذا اليوم . . .

نبوءة الراحل العظيم مصطفى محمود :

كأن الراحل العظيم د. مصطفى محمود كان يقرأ الغيب، عندما أصدر كتابه "إسرائيل البداية والنهاية" الذي تنبأ فيه بكثير مما يحدث الآن من كوارث أتت على أوطان عربية إسلامية ذات تاريخ حضاري تليد، لهذا تكتسب الطبعة الجديدة الصادرة عن قطاع الثقافة بدار أخبار اليوم من هذا الكتاب أضعافا مضاعفة.

في بداية الكتاب يقرر مصطفى محمود أن نيتانياهو جاء ليرفع الشعار الآثم "السلام في مقابل الأمن وليس الأرض" واصفا هذا الواقع بأنه شيء أكثر من الإثم، لأنه أعتزاز بالإثم.

وتابع محمود: "وهذه العزة بالإثم تستمد اعتزازها من المساندة الامريكية والتأييد

الغربي والتسليح المتفوق والترسانة النووية وأيضا من الضعف والهوان والتشرذم العربي والتراجع الاسلامي في كل الميادين.. وماذا يجدي ألف مليون مسلم بدون صوت يكافئ عددهم؟".

وتابع المفكر العظيم: "إن جريمة التخاذل اشترك فيها الكل ، ويجب أن يرجع عنها الكل ، إن الاعتداء على كلب ضال في مدينة أوروبية تعقبه مسيرة احتجاج في الشوارع من أعضاء جماعات الرفق بالحيوان فما بال ١٧٨ مقبرة جماعية للمسلمين في البوسنة دفن فيها تسعون ألف قتيل وطحنت لحومهم وعظامهم وقدمت طعاما للخنازير، ثم مقابر جموعية لجنود مصريين في رمال سيناء أبيدوا في مجازر غدر، ولم نر مسيرة واحدة في أي بلد إسلامي تحتج ولو احتجاجا صامتا برفع اللافتات وتوزيع المنشورات.. إن التقصير شامل والسلبية على رؤوس الكل"

وتابع د. مصطفى: "والمواجهة اليوم ليست بصدد أرض فقط بل بشأن دين وكرامة ومستقبل وبقاء أو عدم بقاء أمة لها بصمة عريضة في التاريخ". وخلص محمود أن السلاح وحده لا يستطيع أن يصنع نصرا حضاريا، وتساءل: وهل صنع التتار شيئا وهم الذين انتصروا على المسلمين ثم دخلوا في الإسلام رغم انتصارهم؟.

وتابع: "الموضة الآن هي الإشادة بالتطرف وتمجيد القتلة وتقديس العنف في التعامل مع العرب والنظر إلى عمليات نهب الارض والاستيطان على أنها مجرد عمليات تصحيح أوضاع لا أكثر.

الخطة الصهيونية

والخطة الصهيونية هي الإعداد لعملية التفاف سياسي لتطويق مصالح الدول العربية وعملية التفاف سياسي لتطويق مصالح الدول العربية، وعملية التفاف افريقية للوصول إلى منطقة البحيرات ومنابع النيل لتهديد مصر، فإسرائيل يجب أن يكون لها نصيب في مياه النيل، ونصيب الأسد في كل خيرات المنطقة".

وأكد محمود أن المشهد السياسي العالمي الذي تدور إستراتيجيته منذ سنوات على اتهام الإسلام والمسلمين، وإشعال الفتن في كل بؤرة إسلامية من الصومال إلى أفغانستان إلى البوسنة إلى جنوب السودان إلى أذربيجان إلى الشيشان إلى طاجيكستان إلى بورما إلى كشمير إلى فلسطين إلى العراق، إلى ليبيا إلى سورية ، كل هذا المسرح العريض

يشهد بأن هناك تحريضا مستمرا واتهاما ظالما بالزور والكذب وبالتآمر وسعى بالفتن وبالسلاح وبالدولار في كل أرض عربية وإسلامية لزعزعة أمنها وإرهابها والإيقاع بين أهلها وتشويه دينها ومبادئها".

وخلص المفكر الراحل أن إسرائيل هي رأس الحربة في هذه الحرب الصليبية الجديدة الظالمة ، مؤكدا أنها صليبية لا علاقة لها بالصليب ولا بالمسيح، وإنما هي استعمار سافر داعر وعدوان خبيث وتمهيد لحرب تختار هي ميقاتها.

واختتم محمود كتابه مؤكدا أن المواجهة ستتم والحرب ستحدث، وسوف يسترد المسلمون بيت المقدس، ويدمرون كل ما بنت إسرائيل وكل ما عمرت، وتابع: "ويختصر القرآن ما سوف يحدث في غموض شديد مؤداه أنه ستكون هناك هزيمة لإسرائيل وسوف يدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة ، وسوف يدمرون كل ما أنشأت إسرائيل وما عمرت" هل ستبني الهيكل ويهدمه المسلمون؟!"

لا نعلم، ولا يقول القرآن متى ولا كيف ولا ماذا سيدمر مما بنت إسرائيل وأنشأت، ولا بأي سلاح ستحاربنا ، وبأي سلاح سوف نغلبها؟"!

مستقبل إسرائيل:

بالرغم من أن دولة إسرائيل تبدو لبعض العيون أنها نجم صاعد لكثرة الفرقعات التي تحدثها في محيطها السياسي إلا إنها تبدو للعيون الناقدة أنها نجم مقدر له الانفجار والزوال في الأجل القريب لأنها لا تملك أسباب هذا البقاء ولا أسباب هذا الغني الذاتي فقواها مستعارة من الحليف الأمريكي وبقاؤها علي السطح مرهون بالمساندة الأمريكية

طول الوقت وبدون هذه المساندة لا تملك لنفسها أرجلا ذاتية تقف عليها في محيط العدوان والتهديد الذي تصنعه بالغطرسة والتحدي لجيرانها.

وبانهيار اتفاقات أوسلو ومدريد وكوبنهاجن وافتضاح أكذوبة السلام الملفق وباقتحام شارون للمسجد الأقصى في ثلاثة آلاف من جنوده في مشهد التحدي الذي قلب المائدة وحول المنطقة إلى شعلة متقدة من الكراهية والرفض لكل ماهو إسرائيلي.. في مواجهة كل هذا التهور لن تصنع الطائرات المقاتلة التي تقصف الأطفال ولا الصواريخ التي تهدم البيوت ولا القنابل التي تفجرها في الشعب الفلسطيني حلا ولن تجبر هذا الشعب المغدور علي الجلوس إلى مائدة سلام ولن تكرهه علي صلح مهين لا يرضاه.

إن الشعب الذي أصبح ظهره إلى الحائط لن يرفع يديه مستسلما بل سوف يتحول إلى وحش كاسر وسيحول الأمة العربية من ورائه إلى شلال هادر والي قوة رافضة والي صوت واحد مدو ضد كل ماهو إسرائيلي فالمصيبة واحدة وما يهدد الفلسطيني سوف يهدد غدا كل العرب وسوف ينال من أمنهم ومصالحهم وثرواتهم.. وشجرة الكراهية حينما تنمو سوف تمد جذورها في المنطقة كلها ولن تترك بيتا واحدا لا تسقط عليه أوراقها الذابلة الميتة.

لقد زرعت إسرائيل الغل في كل بيت.

وشجرة الغل لا ترتوي إلا بالدم.. ولا تثمر إلا الكراهية.

لقد أخطأت إسرائيل الحساب تماما.. فقد كشفت كل أوراقها وفضحت مكائدها مبكرا وقبل الأوان.. وصنعت بذلك الطعم المضاد لكل سمومها والجرعة المضادة لكل مكرها وتآمرها في المحيط العربي كله.. وأكثر من ذلك لفتت أنظار العالم كله إلى وحشيتها وعدوانها في صورة الطفل محمد الدرة الذي حاول أن يلوذ بحضن أبيه فقتلته برصاصها..

ماذا كان يهدد به هذا الطفل الأعزل أمن الوجود الإسرائيلي؟!! هل كان الاسكندر الأكبر الذي سيدخل تل أبيب؟!!

لقد كشفت إسرائيل للعالم كله عن قبح طويتها ولؤم طبيعتها.. وأنها النذالة مجسدة.. ولا أري في أي رصاصة تطلقها علي طفل فلسطيني لتحفر بها قبره إلا إنها تحفر بها قبرها معه وأنها قبرت نفسها بالفعل وأشبعت نفسها موتا قبل أن تموت وأهالت علي رأسها التراب.

ولماذا تستعمل رصاص دمدم المحرم دوليا في قتل الأطفال والشباب.. ألا تثير بعدوانها المفرط العالم كله.. ألا يبدو أنها تفوقت علي هتلر في نازيتها وعنصريتها.

إن إسرائيل حفرت قبرها بالفعل بهذه الجرائم وخسرت قضيتها وتضاءل شأنها إلى مجرد فقاعة في مستنقع الزمن الراكد مصيرها أن تنفجر وتتلاشي بلا أثر وبلا ذكر وبلا تاريخ.. فهكذا ينتهي المجرمون مهما صنعوا لأنفسهم من أمجاد ومهما اخترعوا من دعايات مكذوبة.

إنما ترتفع الأمم بما تخلف من علوم وآثار وفنون وما تترك وراءها من حكمة وما تعطر به التاريخ من خلق رفيع ومبادئ سامية وأفكار خلاقة.. أما الأمم التي لا تترك إلا قنابل وغازات ورصاص فإنها حثالة الأمم.

وهل تركت النازية بعد موتها إلا القبور الجماعية.

وهل سوف تترك الصهيونية بعد موتها إلا ديارا خربة وسيرة كريهة.

هكذا تبدو النهاية من المشاهد القليلة التي رأيناها في هذا الشريط العجيب الذي اسمه إسرائيل.

ولم يعد لأمتنا العربية خيار إلا أن تواجه هذا الطاغوت..

لقد حكمت علي نفسها وما حكمنا عليها.. وكان شأنها كشأن المجرمين يوم القيامة.. يقول لهم ربنا.. ما حكمنا عليكم بل حكمتم علي أنفسكم وحكمت عليكم أفعالكم وكنتم أهل النار من البداية.

لقد اختارت إسرائيل أن تكون خصما لكل العرب.. فلم يبق للعرب خيار الا

الدفاع عن أنفسهم ومواجهة العداوة بعداوة.

ولا يوجد طريق ثالث.

ماذا تحاول إسرائيل أن تقوله للعالم بالضبط.

أنها تستطيع أن تسطو علي وطن؟. وأنها تستطيع أن تغتصب أرضا من أصحابها بقوة السلاح؟!! وأنها تستطيع أن تلقي القنابل علي شعب أعزل؟! وأنها تستطيع أن تطلق الرصاص علي الأطفال دون أن يطرف لها جفن؟! وأنها تستطيع أن تباشر الإجرام في وجه استنكار عالمي.. وأنها تستطيع أن تنتهك القانون في وجه مؤسسات القانون ذاتها؟!!

حسنا ياسادة.. لقد استطاعت إسرائيل أن تفعل كل هذا في جرأة وتبجح وشراسة لا مثيل لها واستطاعت أن تثبت أنها بلا ضمير.. وبلا قلب.. وبلا وجدان.. وبلا عقل أيضا.

وماذا بعد؟!!

أي جدارة.. وأي تفوق سجلته لنفسها في موسوعة جينيس

سجلت أعلي رقم في الغدر.

وسجلت أعلي رقم في ظلم الإنسان لنفسه وظلمه للآخرين.

وسجلت أعلي رقم في استهتار الإنسان بالقيم الإنسانية كلها.

وسجلت أعلي رقم في الكذب بدعوي انها فعلت كل هذا لإعادة الاعتبار للدين اليهودي.. مع ان النبي موسي يلعنها ويتبرأ منها في قبره.. فما فعلته لا يدخل تحت أي ملة ولا يتفق مع أي دين.. واليهود قتلوا أنبياءهم في الماضي.. ومازالوا يقتلون تعاليم هؤلاء الأنبياء إلى الآن.

وماذا بعد..؟

لا شيء..

إن إسرائيل لن تصل إلى شئ.

ولن تحقق العلو الذي تطمح إليه.

وهي لا تعلو الآن بل تسفل.

وتنزل إلى دركات بعد دركات.. من الظلم.

وأمريكا تساندها وتشد أزرها.. وهي شريك في الظلم الذي تباشرة.. وفي العدوان الذي تبرره بسياستها وتغطيه بإعلامها وتزيفه بأخبارها.

وإذا كانت حقوق الدنيا تضيع علي بعض الناس فان حقوق المظلومين لا تضيع عند الله.. فالملائكة يكتبون.. والحفظة يسجلون.. واحتمال الأخطاء التي وردت في انتخابات بوش وآل جور.. والتي تحدثت عنها الدنيا.. لا مجال لحدوثها في الآخرة.. فالآخرة هي عالم الحق الذي لا يحق فيه إلا الحق.. ولن يستطيع ظالم أن يحصل علي شميم نسمة من نسيم من الجنة بلا حق.

ولن يعني هذا أن إسرائيل سوف تفوز بالدنيا.. بل حتي هذه لن تفوز بها.. بل سوف تشهد هزيمتها في الدنيا قبل الآخرة.. وسوف تنتكس أعلامها علي مشهد من العالمين.. وقبل أن يسدل الستار علي الدنيا وما فيها.

وموعدنا السنوات القليلة المقبلة ياشارون.

لقد شاهدتك علي شاشات التليفزيون في طليعة الثلاثة آلاف من جنودك وأنت تخوض في هذا البحر من الحراسة وتدوس بحذائك رحبات المسجد الأقصى المطهرة وأنت تتلفت في أبهة ولا مبالاة وتطوف نشوانا معتزا بالألوف الذين يشدون أزرك وقد تماسكت الأيدي بالأيدي في سياج حصين وكأنك الفرعون العظيم في جنده.

ولن أنسي هذا المشهد ونظرات الاستفزاز تلمع في عينيك وأنت تتلفت مختالا تفيض خطواتك الواثقة بالتحدي والغرور وكأنك امتلكت الدنيا ومافيها فهكذا كان يبدو لك.. وهكذا كان يبدو لمن يراك.. ويأتيني بعد ذلك مشهد عرب فلسطين.. يركعون

ويسجدون في هذه الرحبات نفسها ومن خلفهم بنادق جنود إسرائيل مشهرة وأسأل نفسي.

هل تصورت أنك امتلكت كل شئ يا شارون وأن المسجد أصبح مسجدك تسمح أو لا تسمح فيه بالصلاة لمن تشاء.

وتأتيني خطوات صاحبك باراك المسرعة دائما تنهب الأرض.. يريد أن يلحق بشئ يخشي دائما أن يفوته.. وهو الآخر يتلفت يمنه ويسره في قلق إلى جمهور خيالي لا وجود له وينتظر تصفيقا لا يحدث.

وأسأل نفسي..

أين تذهب به أحلامه..؟!

ولا أراني أملك فصاحة التعبير.. ولا ملكة التنبؤ بالمستقبل.. ولا معرفة الغيب.

ولكني التفت ورائي.. إلى الاسكندر المقدوني.. والي هانيبال.. والي أمثال هتلر وموسوليني.. والي كوكبة الغزاة عبر التاريخ.. فهل يحلم أن يكون منهم..؟!

أم أنه يتطلع إلى فوق.. ويتصور أنه يسير علي خطي الأنبياء. وأنه داود.. أو سليمان الذي حكم ممالك الجن.. وأن مفاتيح رقاب الخلق في يده يفعل بهم ما يشاء.. وأن له أن يحيي وأن يميت.. وأن له الحكم والتصريف.. والكل رهن أمره.

هكذا يبدو وهو يسير في خطاه الواثقة في يده اليمني أمريكا وفي يده اليسري مصائر أطفال فلسطين.. هل تدرك أمريكا إلى أي منحدر يقودها.. والي اي هوة من المظالم يهودي بها.

هل تدرك أمريكا إلى أي منحدر تسير.. والي أي مهلك يقودها شراذم اليهود.

أي نعمة كبري أن يكون الواحد منا علي الشاطئ ينظر ويتأمل دون أن تنزلق قدمه إلى الدوامة.. وأن يكون حظه مجرد ا النظر.. واستخراج العبرة.. دون أن تزل قدمه إلى

وادي المهالك.

إن ما يجري أمامنا شئ فظيع.. وما تفعله إسرائيل أشبه بالجريمة الكاملة.. والفاعل.. والشهود.. والعالم الذي يتفرج.. الكل مسئول.

وما تفعله إسرائيل ليس انتصارا.. وإنما جريمة.. مع سبق الإصرار والترصد.

والشاهد الساكت فيها شيطان أخرس.. وما أكثر الشهود الساكتين.

وإذا ظن الجناة الكبار أنهم سوف يفلتون.. فانهم يحلمون.. فهناك شاهد الشهود الذي لا ينام والذي بيده مقاليد الأمر كله.. هناك رب الكون الذي خلقه.

والقصة لم تنته بعد.

ومازالت عجلة الحوادث تتداعي.. والعرض مستمر كل يوم.. والدبابات تحصد أطفالا ليس في أيديهم إلا الحجارة.. ومنظار الرشاش يوجه الطلقات إلى الرأس دائما.. فيسقط الطفل لفوره.

إلا يخشي هذا الجندي أن تشل يده وهو يقتل.

ألا يعلم أن الله هو الذي أودع في الجهاز العصبي هذه القدرة علي النشان وإصابة الهدف.

ألا يدرك أنه يستخدم هذه النعمة الإلهية في عمل إجرامي.. وأن الله يمكن أن يسلبه تلك القدرة إلى الأبد.. أم أنه أسكت عقله وأصم أذنيه وأغلق منافذ فكره وعطل ضميره وتحول إلى مجرد آلة بلا روح.. ومسخ بشري بلا شعور.

أليست هذه الحالة هي الهزيمة بعينها.

ألا يعلم باراك أنه يهزم أشرف المشاعر في جنوده وأنه يشوه جنوده بهذه المعارك وأنه سوف يفقدهم واحدا بعد آخر ويحكم عليهم بالإدمان والإنهيار والضياع.. ويحولهم إلى كتيبة من الحيوانات.

إن القصة ستكون لها نهاية مأسوية ياسيادة المارشال.. وما تظنه انتصارا ليس انتصارا بالمرة.. والرصاصة التي ستقتل الطفل سوف تصيبك أنت أيضا في مقتل. وسوف تدرك هذا بعد زمن وبعد فوات الأوان.

إن الإنسان لا يمكن أن يتحول إلى مجرد آلة قتل عمياء إلا إذا فقد روحه.

وإذا فقد الإنسان روحه فقد كل شئ.

وسوف تدرك هذا قريبا.

اقتل يا سيادة المارشال.. أقتل.. فأنت مجرد قاتل لا أكثر.

****

التوراة

باطل الأباطيل الكل باطلٌ وقبض الريح.

ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس.. كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن.

كل الكلام يعجز.. لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل.. العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع.

ما كان فهو يكون وما صنع فهو أذى يصنع فليس تحت الشمس جديد.

كل تعب الإنسان إلى بطنه يذهب ومع ذلك فإن تلك البطن لا تشبع.. أقول لكم الذهاب إلى ما تم خير من الذهاب إلى وليمة زفاف لأنه خير تذكير للإنسان بالنهاية ليضعها أمام عينيه ويغلق عليها قلبه.

أنا "الجامعة" كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما تحت السموات.. رأيت كل الأعمال التي عملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح.. في كثرة الحكمة كثرة الغم.. والذي يزداد علماً يزداد حزناً.

رأيت المظالم تغرق الأرض فغبطت الموتى والذين لم يولدوا.

ورأيت الذي يتعب ويجمع.. يذهب تعبة وثمرات يديه إلى من لم يتعب ولم يكدح..

ولو عاش الإنسان مائة سنة وطالت أيامه ولم يفعل الخير فإني وأقول إن سقط المتاع أفضل منه لأنه في الباطل يجئ وفي الظلام يذهب.

هذه هي التوراة..

كلمات تلمع وحيدة كفصوص الماس وسط دشت كثيف من صفحات كثيرة من القصص والتاريخ.

هذا أيوب النبي يدق صدره بيده صارخاً بعد أن فقد أمواله وأولاده.

"عرياناً خرجت من بطن أمي عرياناً أعود إلى هناك

.. الرب أعطى الرب أخذ.. مبارك الرب في كل ما يفعل

.. لماذا نقبل الخير من الله ولا نقبل الشر.

وهذا داود النبي يخر على وجهه ساجداً مبتهلاً

إلهي.. صخرتي.. حصني.. منقذي.. مخلصي من الظلم تخلصني..

أمواج الموت اكتفتني.. سيول الهلاك أفزعتني.. جبال الهاوية أحاطت بي.. شراك الموت اختطفتني..

في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وارتجت الأرض.. وأعمدة السماوات وارتعدت..

وهذه الزانية في سفر الأمثال تقول:

عطرت فراشي بمسك وعود وعنبر.. بالديباج فرشت سريري.. بكتان معزول في مصر.. هلم إني عطشى إليك.. تعال نرتوى باللذة.. إن رجلي ليس بالبيت.. لقد ذهب في طريق بعيدة ولن يعود إلا أول الهلال.

وأغوت الزانية الرجل بعسل كلاهما فذهب وراءها كثور إلى المذبح أو كطير يسير إلى الفخ.

أيأخذ الإنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه.. أيمشى على الجمر ولا تكتوي رجلاه.. هكذا من يدخل على امرأة صاحبه.

أسوء من الموت امرأة قبلها أشراك ويداها قيود.

الهاوية بينها والهلاك ذراعاها..

وماذا بعد لدغة الحية.

وماذا تنفع رقية الراقي.. .

ولكن هذه الكلمات تتألق كالماس وهذه اللمعات الخاطفة من الحكمة يجدها قارئ التوراة غارقة في خضم من التشويش.. وبعد عدة مئات من الصفحات يصاب بالدوار ويتساءل.. أهذا الكتاب بصورته الحالية هو ما أنزله إله منذ ثلاثة آلاف سنة على موسى.

يقول لنا جيمس هنرى برستد في كتابه فجر الضمير أن التوراة الحالية تضم اقتباسات من الأدب الفرعوني القديم.. وإن مزامير داود أخذت الكثير من نشيد اناتون.. كما ورد في سفر الأمثال الكثير مما كتبه الحكيم المصري. أمينموبي في وصاياه.. وهو يورد في كتابه عدداً من المقبلات بين الكتابين.

يقول أمينموبي في وصاياه: "لا تصاحب رجلاً حاد الطبع ولا ترغب في محادثته".

ويقول سفر الأمثال: "أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله أنه أمام الملوك يقف".

ويختلف اليهود والسامريون بشأن التوراة.. فالسامريون لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى من التوارة من أدم إلى موسى وينكرون الباقي بحجة وجيهة أنها أسفار تاريخية ومذكرات تروى أحداثاً وقعت لبني إسرائيل بعد موسى مئات السنين.. ولا يد لموسى فيها.. وإنما هي كتابات كتبها أصحابها ولا يصح تضمينها في الكتاب المقدس.

ويختلف المسيحيون في أمر التوراة.. بروتستانت وكاثوليك.. فالكنيسة البروتستانتية قد حذفت من التوراة أسفار ياروخ وطوبيا ويهوديت والمقابين الأول والمقابين الثاني وبعض استير وبعض دانيال.

ولا تعرف الكنيسة البروتستانتية بهذه الأجزاء وتقول أنها مدسوسة على التوراة.. بينما تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية.

ويؤمن المسلمون بأن التوراة نزلت على موسى بوحي سماوي ولكنهم يقولون أن التوراة الموجودة المتداولة قد دخل عليها التبديل والتحريف.. والقرآن يؤكد هذا الكلام

بما ذكره عن اليهود وكتابهم.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(البقرة:٧٩).

وبروايته عنهم.. أنهم ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(النساء:٤٦).

ويقول اليهود أن توراتهم لا تقو بنزول عيسي الناصري أو محمد وفي رأيهم أن عيسي ومحمد كلاهما دجال ومدعي.

فنحن أمام كتاب هو محل شك من جميع الطوائف.. وكل طائفة قد تحفظت بشأنه على طريقتها.

والقراءة المتأنية للتوراة المتداولة لا يخرج منها القارئ بأنه أمام كتاب أوحى به الله.. فالأنبياء الذين تعارفنا على إجلالهم واحترامهم نراهم في التوراة عصبة من الأشرار.. سكيرين ولصوصاً وزناة وكذابين ومخادعين وقتلة.. وأله نراه يفعل لفعل ثم يندم عليه ويختار رسوله ثم يكتشف أنه قد أخطأ الاختيار.. وكأنه لا يدرى من أمر نفسه شيئاً ولا يعرف ماذا يخبئه الغيب.

ونرى الله في التوراة ينام ويستيقظ.. ونقرأ في سفر زكرنا الإصحاح الثاني:

"اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه".

والرب في التوراة يخلق العالم في ستة أيام ثم يتعب ويحل عليه الإرهاق فيستريح.

أما الأنبياء فقد فارقوا جميع الخطايا.

نقرأ عن نوح عليه السلام أنه شرب خمراً حتى سكر وتعرى داخ خبائه.. ورأي ابه حام عورت فأخبر أخاه سام فجأة سام ويافت وسترا عورة أبيهم.. فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين.. يكونون عبيداً لسام مدى الدهر..

(والغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهودي الذي كتب هذا الكلام فهو يدعو

على أبناء حام وهو الفلسطينيون والمصريون بأن يكونوا عبيداً للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر).

وتقرأ النص.

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به أبنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم.. ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم.."

هل هذا الفعل من ولد صغير.. (أن يرى عورة أبيه الذي تعرى).. تستحق من الأب هذه اللعنة عليه وعلى أحفاده ونسله بأن يكون الكل عبيداً مستعبدين له وأولاده مدى الدهر.

ومن هو ذلك الأب؟

إنه النبي نوح.

وهل من شيم النبي أن يشرب الخمر حتى يسكر ويتعرى.

فإذا جئنا إلى لوط وجدنا ابنتي لوط تسقيانه خمراً حتى يفقد وعيه وتنام كل واحدة معه لتحبل منه.

"وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض.. هل نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلاً.. فسقنا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر فاضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت

الباحة مع أبي.. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي مع فتحيي من أبينا نسلاً فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها".

أما النبي اسحق وولداه يعقوب وعيسو فتروى لنا التوراة حكايات عجيبة عن مخادعة يعقوب لأبيه العجوز الضرير وكيف إنه لبى فروه ليوهم الأب أنه عيسو (وكان عيسو كثيف شعر اليدين والرجلين وكان مفضلاً عند أبيه).

وتحسس الأب الضرير ولده ورآه مغطى بالشعر ففترح به وظن أن عيسو وأعطاه البركة والعهد.. وبذلك أصبح نبياً.. وجاء الابن الثاني ليأخذ البركة وفطن الأب للخدعة ولكن بعد فوات الأوان فقد ذهبت البركة أخذها يعقوب الكذاب المخادع وأصبح نبياً.. وحرم منها الأخ الطيب البار عيسو..

ولا تفهم من المخدوع هنا.. هل هو إسحاق..؟

وإن استطاع الابن أن يخدع أباه الضرير فكيف يخدع الله السميع البصير في السماوات وهو المانح الحقيقي للبركة وهو الذي يختار الأنبياء.. وكيف تنفذ بركة الله من أول لمسة فيسلبها نبي محتال ولا يبقي منها شيء لأخيه.

فقالت رفقه (وهي امرأة اسحق) لأبنها يعقوب.

إني سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً ائتني بصيد وأصنع لي أطعمة لآكل وأبارك أمام الرب قبل وفاتي.. فالآن يا بني اسمع لقولي في ما آمرك به أذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعزى فاصنعها أطعمة لأبيك كما يحب فتحضرها لأبيك ليأكل حتى يبارك قبل وفاته.. فقال يعقوب لرفقة أمه.. هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس ربما يحسنى أبي فأكون في عينيه كمتهاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة فقالت له أمه بتكن لعنتك على أنا يا بني.

وصنعت له أمه أطعمة كما أبوه يحب وأخذت ثياب عيسو الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب وألبست يدي وعنقه جلود المعزة.. وأعطت الأطعمة

والخبر التي صنعت في يد يعقوب.. فدخ على أبيه فقال.. من أنت يا بني قال أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني قم وأجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك.

قال إسحاق ليعقوب تقدم لأتحسسك يا بني فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فتحسسه وقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يد عيسو ولم يعرفه لأنه يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه وقال له تقدم وقبلني يا بني فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال: رائحة ابني كرائحة حق قد باركه الرب فيعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كن سيد لأخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لأعنوك ملعونين ومباركوك مباركين".

ثم تروي لنا التوراة كيف جاء عيسو الحقيقي ليقدم لأبيه صيده ويأخذ البركة وكيف صرخ وبكى حينما عرف الحقيقة وقال لأبيه:

"أما بقيت لي بركة.. فأجاب إسحاق.. إني جعلته سيدا عليك ودفعت إليه جميع أخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر فماذا أصنع لك يا بني قال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟.. باركني أنا أيضاً رفع عيسو صوته وبكى فأجاب إسحاق وقال.. هو ذا لا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد!!".

ويستمر النبي يعقوب في الغش والسرقة فيسافر إلى حاران ويعمل عند خاله لآبان أربع عشرة سنة ويتزوج ابنتيه ليه وراحيل ثم يجئ اليوم الذي يطلب فيه أجرته فيقول له لأبان.. عين أجرتك لأعطيك فيقول يعقوب يكفيني أن آخذ من الغنم ما كان مخططاً ومرقطاً.. ثم يلجا إلى خدعه فيذهب إلى مساقي الماء حيث تجئ الغنم لتشرب ويضع أمام عيونها قضباناً مرقطة ومخططة للتوحم عليها فيجئ نسلها مخططاً مرقطاً ويختار الأغنام القوية ليكون نصيبه كله من الأغنام القوية.

تقول التوراة:

"وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحم بين القضبان وحين استضعفت الغنم لم يضعها وهكذا صارت الأغنام الضعيفة للأبان والقوة ليعقوب فاتسع الرجل كثيراً وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير".

وحينما يشكو أبناء لابان مما فعل يعقوب بثروة أبيهم يقول يعقوب:

"لقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني".

هي إذن جريمة سرقة وتواطؤ يشترك فيهما الله مع يعقوب.. هكذا يتصور كاتب التوراة.

فأي إله هذا؟

وأي نبي..؟

ويعقوب هو أبو الأنبياء الذي انحدرت من صلبه الأسباط الاثنا عشر.. رأوبين وشمعون ولأوى ويهوذا ودانا ونفتالي وجادا وأشير ويشاكر وزبولون ويوسف وبنامين وهم الأبناء الذين جاءوا إلى مصر في قصة سيدنا يوسف.

ومن سبط لأوى جاء موسى.

ومن سبط يهوذا جاء كل اليهود وباق أنبيائهم.

ولهذا يطلق على يعقوب اسم "إسرائيل".. فهو إذن نبي عظيم لا ككل الأنبياء وهو النبي الذي تصوره لنا التوراة مخادعاً غشاشاً يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي.

وهي أشياء لم تحدث طبعاً.. وليس من المعقول ألا يجد الخالق بين ملايين ملايين ممن خلق منذ أدم بضعة عشر من الرجال الأطهار ليختارهم لنبوة.. لا يسرقون ولا يزنون ولا يغشون.. وليس أمراً خارقاً أن يوجد رجال أمناء على الأرض.. ونحن نجد الآن وبين

ظهرا لينا الأمين والشريف والتقي.. فما بال الخالق الذي يختار من مخلوقاته بعرض التاريخ كله وبطول الزمان.

ولكنها الأقلام التي كانت تكتب التوراة من الذين ضرب عليهم السبي في بابل ممن كانوا يرون نساءهم سبايا وأولادهم عبيداً وبناتهم يقدمن عرايا لمتعة قصور فارس فراحوا يلخطون كل شيء ويلقون القذر الذي كانوا يعيشون فيه على وجه التاريخ كله.

وقد يسأل سائل كيف يلطخ اليهود أنبياءهم.. ونحن نقول بل فعلوا ما هو أكثر "قتلوا أنبياءهم وهذا أرميا يصرخ في سفر أرميا الإصحاح الثاني من التوراة في وجه أبناء جنسه" أكل سيفكم أنبياؤكم كأسد مهلك".

ولم ينج يهوذا نبيهم الذي كانوا يفضلونه على كل الأنبياء من هذا التلطيخ.

وتحكى لنا التوراة ما كان بينه وبين ثامار امرأة ابنه بعد أن ترملت بوفاة زوجها.

"فأخبرت ثامار وقيل لها هو ذاك حموك (يهوذا) صاعداً ليجز غنمه فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق غنمه.

فنظر يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها فمال إليها على الطريق وقال: هاتى أدخل عليك لأنه لم يعلم إنها امرأة ابنه فقالت ماذا تعطيني لكي تدخلي على فقال: إني أرسل جدي معزى من الغنم فقالت هلي تعطيني رهناً فقال وما الرهن الذي أعطيك؟.. قالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها.

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار امرأة ابنك المتوفى وها هي حبلى أيضاً من الزنا فقال يهوذا أخرجوها فتحرق.. أما هي فأرسلت إلى حميها قائلة.. من الرجل الذي أنا حبلى له.. وقالت.. حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه فتحققها يهوذا وقال.. هي أبر مني!!.

وهذا هو النبي الزاني الذي قال له أبوه يعقوب النبي الآخر سارق المواشي على

فراش الموت.

"يهوذا إياك يحد أخوتك.. يدك على قفا أعدائك.. يسجد لك بنو أبيك".

أيمكن أن يكون هذا الكلام وحي ينزل من الله.. الذي تصفه التوراة بأنه يحب المتطهرين ويقول لعبده:

"لا تصعد بدرج إلى مزيحي لكيلا تتكشف عورتك عليه" وينزل لعنته على حام، وأولاده من بعده لأنه نظر إلى عورة أبيه نوح الذي تعرى في خبائه.

نظرة الطفل إلى عورة أبيه أمر لا يغتفر.. ويستحق اللعنة إلى يوم الدين..

مثل هذه الآلهة الغيور كيف يختار أمثال هؤلاء الزناة أنبياء؟

ولم يكتف مزيفو التوراة بهذا بل جعلوا من النبي هارون عابد أصنام.

"ولما رأي الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون.. أنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتو بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعوا عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه الهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال: غداً عيد الرب".

ولا ينجو موسى ولا رب موسى من التلطيخ.. فها هو موسى يتوسل إلى الرب حينما رآه عصاه لعودة قومه إلى عبادة الأصنام.

"لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة.. لماذا يتكلم المصريون قائلين خرجهم إلههم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض.

أرجع يا رب عن غضبك واندم عن الشر بشعبك.

فندم الرب عن الشر الذي قال أنه يفعه بشعبه.

(سفر الخروج ٣٤)

لغة لا يمكن أن تصدر عن نبي يعرف مقام ربه ورأي منه خوارق المعجزات فيقول له: "يا رب أندم على غضبك".

ورب عجيب.. ما يلبث أن يندم على ما فعل.. والرب في حالة خطأ وندم بطول التوراة وعرضها.

"وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها وندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى".

(صمويل الثاني – ٢٤)

كيف يخطأ الرب ويندم مع أن التوراة ذاتها تقول في سفر العدد.

إصحاح ٢٣ الآية ١٩

"ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم".

هو إذن خلط ودشت من الكلام تكتبه أقلام بشريد ولا وحيا ولا تنزيلاً.. والاعتراض بأن كلمة الله يندم هي كلمة مجازية مثل كلمة الله يغضب هو اعتراض غير سليم لأن الندم معناه الرجوع عن الخطأ ولا يصح مجازاً ولا فعلاً أن نقول أن الله يكذب أو يظلم أو يجهل.. هذه كلمات لا يصح إطلاقها على الله ولو مجازاً.

والتوراة تصور هذا الرب في صورة مادية فهو يحب رائحة الشواء التي تتصاعد من الأضاحي على المذبح.

"ويرش الكاهن الدم على مذبح الرب لدى باب خيمة الاجتماع ويوقد الشحم لرائحة سرور الأب".

ونقرأ عن ألوان القرابين التي يحبها الرب في سفر العدد.

أطباقاً من فضة وزن الواحد منها ١٣٠ شاقلاً من فضة وصحونا من ذهب وزن الواحد منها عشرة شواقل ذهب وثيراناً وأبقاراً وأكباشاً ولحماً يشوى على المذبح..

وكل ذلك يحتفظ به الكهنة لأنفسهم لا ذكر لأي نصيب يوزع على الفقراء.

يقول الرب لهارون: "كل قرابينهم وتقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي. قدس أقداس وهي لك ولبنيك..

كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس والبهائم يكون لك.. غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكرة البهيمة النجسة تقبل فداءه وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقديمك فضه خمسة شواقل على شاقل القدس".

الذهب والفضة والكباش والثيران كلها تدخل إلى جيب الكاهن.. لقد أرادها عملية تجارية واستغلالاً صريحاً.

والتوراة ذاتها تعود فتفضح هذه الكلمات وهذه الصورة المزيفة التي دستها الأقلام عن الرب.. فتقرأ في سفر هوشع إصحاح٦.. الرب يهتف.. "إني أريد رحمة لا ذبيحة.. أريدهم ان يعرفوني أهم من أن يحرقوا لي القرابين ولكنهم كآدم نسو العهد وغدروا.

كما يكمن اللصوص لقطع الطريق كذلك زمرة الكهنة يقطعون الطريق على كل من يأتي إلي".

وجعلت التوراة من هذا الشعب اللص السكير الزاني شعب الله المختار يمدهم الأرض من النيل إلى الفرات.

"كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية وجهتان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي تكون تخومكم وقد اختار الرب لتكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض".

وجعلوا من الرب طاغوتاً دموياً يستبيح لهم جميع الأمم.

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك لتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك".

ودائماً مكافأة الله لعباده وعقابه لهم يكون فورياً ودنيوياً.. لا ذكر لبعث وجنة ونار وحساب وآخرة ولك ما تقوله التوراة حينما يضطجع أنبياؤهم ليموتوا إنهم يذهبون إلى أرض "شول التي لا رجع منها.. والجنة التي تعد بها التوراة هي نعمة دينوية.

"يبارك الرب ثمرة بطنك وثمرة أرضك.. قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك.. يعطيك قوة لتصنع ثروة.. يجعلك الرب رأساً لا ذنباً.. يعطيك أرضاً مفيد لبناً وعسلاً.. يطيل أيامك.

كل مكان تدوسه أقدامك يكون لكم من لبنان من نهر الفرات إلى البحر الغربي تكون تخومك..".

أما الجحيم فهو لعنة تنزل بصاحبها في الدنيا.

"يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض.. يضربك بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والزنبول.

تكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً والأرض تحتك حديداً.. ويجعل الرب مطر أرضك غباراً.. تراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك.. تكون جنتك طعاماً لطيور السماء ووحوش الأرض.. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والحرب والحكة.. يضربك الرب بجنوب وعمى..

تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها.. تبني بيتاً ولا تسكن فيه يذبح ثورك أمام

عينيك ولا تأكل منه.

يغتصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك.

يسلم بنوك وبناتك إلى شعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار وليس طائل.

بذاراً كثيراً تبذر وقليلاً تجمع لأن الجراد يأكله.

بنين وبنات تلد ثم لا يكون لك لأنهم إلى السبي يذهبون.

تأكل ثمرة بطنك لحم بنيك في الحصار وامرأتك تأكل أولادها من الجوع.

(من سفر التثنية إصحاح ٢٨)

كبريت وملح كل أرضك لا تنبت ولا يطلع فيها عشب.

(تثنية إصحاح ٢٩)

وأكثر من هذا ينكر النبي أيوب في التوراة البعث فيقول في سفر أيوب إصحاح ١٤ للشجرة أمل إن قطعت تعود فتخلف: ومن رائحة الماء تفرخ وتنبت زرعاً كالغرس أما الرجل فيموت ويبلى الإنسان يسلم الروح فأين هو.. تنفذ المياه من البحر والنهر يجف والإنسان يضطجع ولا يقوم: لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات ولا ينتبهون من نومهم".

ويموت موسى.

وتتحول التوراة إلى بلاغات حربية لما دار من وقائع ومعارك بين قوم إسرائيل وبين الكنعانيين (الفلسطينيين في ذلك الوقت) للحصول على أرض الميعاد.

وينتصر صمويل وشاول وينصب شاول ملكاً على بني إسرائيل.. وكالعادة يندم الرب على جعل شأول ملكاً.

"وكان كلام الرب إلى صمويل قائلاً: ندمت على أني قد جعلت شأول ملكاً لأنه رجع من روائي ولم يقم كلامي فإغتاظ صمويل وصرخ إلى الرب الليل كله".

الرب اكتشف أن شاول يفعل خطايا من ورائه.

كيف.. وهو السميع البصير الذي لا يمكن أن يحدث شيء من ورائه.

ولكنه الرب في نظر التوراة المكتوبة.

ومسح صمويل داود نبياً.

ووقع البغض والحسد في قلب شأول لداود وحاول أن يقتله "وكان داود يضرب بالعود فالتمس شأول أن يطعن داود بالرمح حتى إلى الحائط ففر من أمام شأول فضرب الرمح إلى الحائط فهرب داود ونجى تلك الليل".

هنا أنبياء يقتلون بعضهم بعضاً على المغانم والمناصب ثم ترى شأول النبي يستعين بتحضير الجن حينما يتأخر عنه الوحي الإلهى "ولما رأي شأول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً فسأل شأول الرب فلم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء فقال شأول لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فأذهب إليه وأسألها".

وتنتهي حياة شأول بأن ينتحر يخسر المعركة ويكون بذلك أول نبي منتحراً.

وتدور حروب جانبية بين بيت شأول وبيت داود تنتهي بانتصار داود وتوحيد المملكة.

ولا ينجو داود النبي مما أصاب غيره من الأنبياء على يد كتاب التوراة فما تلبث أن تراه يزني بامرأة الضابط أوريا الحشى ويرسل الضابط إلى الجبهة ليضرب ويموت ليستأثر هو بزوجته.

"وكان في وقت المساء أن داود قام من سريه وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسال عن المرأة فقال واحد.. هي بتشبع بنت بلعام امرأة أوريا الحشى فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى. وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا

وكتب في المكتوب يقول.. اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت".

زنا وقتل وتآمر وغدر.. يفعل ذلك أنبياء.. وفي سبيل متعة عابرة مع امرأة.. خلعت عارية ذات مساء على سطح بيت.

ويضطجع داود من امرأة أوريا الحشى فتحبل وتلد له النبي سليمان.

وما يفعله داود يفعله أبناؤه.

أمنون بن داود يحب أخته العذراء ثامار ويتحايل لينالها فيدعى المرض ويرقد ف الفراش وتأتي ثامار لتطعمه وتمرضه فيغتصبها.

"فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع وقمت له ليأكل فامسكها وقال لها.. تعالى اضطجعي معي يا أختى! فقالت له.. لا يا أخى لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل لا تعمل هذه القباحة.. أما انا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها اضطجع معها.

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جداً حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها وقال لها أمنون.. قومي انطلقي".

كان هذا مستوى الأخلاق في بيت داود النبي في نظر كتاب التوراة.. أما النبي سليمان فقد تفوق على أبيه داود في شهواته".

وكانت سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه ورأي إلهة أخي ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب.. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين".

تقول لنا التوراة أن النساء أملن قلب سليمان فكفر وعبد الأصنام.. ولم يبقوا خطيئة لم يفتروها على أنبيائهم حتى الكفر.. وماذا بعد الكفر.. وكيف يسمى نبياً من كفر بالله

وعبد الأصنام.

ولكنهم كانوا على الله.. أجرأ منهم على الأنبياء.

نرى جدعون في سفر القضاة إصحاح ٦ يمتحن الله ويقول له (إن كنت سوف تنصرني وتخلص بني إسرائيل بيدي تجعل الطل ينزل على جزة الصوف هذه بينما تكون الأرض حولها جافة.. ويطاوع الله جدعون.. فيغدو جدعون على حقله مبكراً فيجد الأرض كلها جافة بينما جزة الصوف تقطر ماء.. ولا يكتفى جدعون بهذه البشارة فيعود ليمتحن الله من جديد قائلاً.. يا رب لا تغضب على سوف أمتحنك هذه المرة فقط إن كنت سوف تنصرني وتخلص بني إسرائيل بيدي فلتكن هذه المرة جزة الصوف جافة والأرض حولها شبعانة مطراً.. ويجاوب الله على امتحان جدعون وكأنه تلميذ في الإعدادية وليس إلهاً.. فيبكر جدعون إلى حقله فيجد الأرض غرقانة مطراً وجزة الصوف جافة "..فيتأكد أخيراً أن الله سوف ينصره".

هذه هي التوراة التي تسند إلى الله سذاجة تتعارض مع ناموسها ذاته فهي تعلمنا كيف يعلمنا الإنجيل أنه لا يصح أن نمتحن الله.

ولو أن جدعون اكتفى وصدق حينما استجاب الله إلى طلبه في المرة الأولى.. لقلنا لا مانع في ذلك.. هو يسأل الله آية ليطمئن قلبه كما فعلها إبراهيم من قبل.. ولكن ما حدث أن الله عندما أجابه إلى مطلبه.. لم يصدق ربه وعاد يمتحنه للمرة الثانية ويقول.. يا رب لا تغضب دعنى أمتحنك مرة أخرى.. وسوف أطلب منك هذه المرة أن تعمل لي آية بالعكس.. فتجعل الأرض مبتلة وجزة الصوف جفت.. وبذلك انحط المشهد إلى سذاجة لا تليق بالله.. ولا بأوليائه.

فإذا جئنا إلى نشيد الأنشاد فنحن أمام ملحمة شعرية عن الحب والجنس لا نفهم أي علاقة بينها وبين الدين.

"في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي.. طلبته فما وجدته إني أقوم وأطوف المدينة

والأسواق والشوارع أطلب من تحبه نفسي طلبته فما وجدته وجدني الحرس الطائف بالمدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي وأحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائيل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء.

بين يديي يبيت.

أنعشوني بالتفاح فإني مريضة جداً.. شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائيل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء.

أي علاقة بين هذا الغزل الجنسي وبين ألواح الشرائع التي أنزلها الله على موسى.. ولماذا يوضع هذا السفر ضمن أسفار التوراة.

يقول المدافعون عن هذا السفر انه أنشودة زفاف وغزل ومحبة بين عريس وعروس وإن شأنه شأن أغاني الحب التي تألف لتنشد في حفلات الزواج الشرقية.

ويقولون أن هذا السفر كان يتلى كطقس ديني في هيكل أورشليم في زمن منسي الملك وكان يتخلل أعياده الفصح الثانوية ويرى الأعضاء المتخصصون أيضاً أن السبب الذي صار من أجله هذا النشيد سفرا من الأسفار الموحى بها هو معناه الديني الرمزي وأنه يعبر عن علاقة الحب الزوجي بين الله وشعبه تلك العلاقة التي شبهت بالعلاقة بين العريس وعروسه.. وهو يقولون أن علاقة الحب بين الله وشبعه هي الأصل.. وأن علاقة الجنس بين الرجل والمرأة هي الظل.. وأنها علاقة طاهرة.. ولكن الذي أصبغ عليها إحساس الدنس والإثم وألصق بها معاني النجاسة هو سقوط الإنسان من حالة البر والطهارة التي كان يعيشها والتي كان يرى بها كل شيء في مبدأه الإلهي الطاهر البريء.

صار الإنسان المتردي في العصيان ينجس كل شيء في الخليقة بنجاسة قلبه (وأكثر ما نجسه علاقة الرجل بالمرأة).. وقد صحح الله هذه النظرة بأن أعلن محبته للمادة وتقديسه لها حينما اختار المادة جسداً لها والتحف باللحم والدم.. وبهذه الصورة عادت العلاقة بين الله والإنسان فصارت علاقة زواج وسمي السيد المسيح عريساً وسمي شعبه الجديد عروساً.

"كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم".

(رسالة تيطس ١ : ١٥)

بهذه البصيرة الجديدة حينما يقرأ المؤمن سفر نشيد الإنشاد يصير له هذا السفر كنزاً وينبوعاً لا ينضب.. يفجر إحساسات الحب الإلهي بين الإنسان والله.

هذه رأي المدافعين المتحمسين.

ولكني لا أري نشيد الأناشيد يطاوعنا كثيراً هذا التأويل المتسامي.. ويكفى أن نقف قليلاً أمام مثل هذه الفقرات.

كفلقة رمان خدك تحت نقابك.

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم.

دوائر فخذيك مثل الجواهر صنعة يدي صناع.

سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسورة بالسوسن ثدياك كخشفتين توأمي ظبية.

عنقك كبرج من عاج.

قامتك شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد.

قلت إني أصعد النخلة وأمسك بعنوقها.

ألا نسرف كثيراً في التأويل إذا عتبرنا هذا الكلام حواراً وغزلاً بين الإنسان والله.. ومن هو الإنسان ومن هو الله في هذه الصورة الشعرية.

وفي أي لغة صوفية يستخدم الصوفي كلمات غليظة مباشرة ومادية مثل.. الفخذ والصرة.. والثدي.. والمرأة التي هي كالنخلة وثدياها كالعناقيد والصوفي يصعد على

النخلة ويمسك بالعنوق.. (وهي حلمات الثدي) تمشيا مع الصورة الشعرية..

كيف تصلح مثل تلك الصورة المخاطبة الإلهية مهما تساهلنا في التأويل.. ولماذا نحاول أن نجهد أنفسنا في اعتساف معنى ديني لهذا أسفر.. والتوراة مليئة بالزنا والاغتصاب والخمر والسكر.. أغرقت فيه أنبيائها إلى آذانهم.

الله وملائكته وأنبيائه

الصورة التي صورتها التوراة لله صورة مليئة بالتشويش والتناقض وسوء الفهم.. فهو في معظم صفحات الكتاب إله ندمان يفعل ثم ما يلبث أن يدرك أنه اخطأ ويندم عليه ويرجع عنه.. وهو الله مادي يفرح برائحة الشواء على المذابح ويدركه التعب إذا اشتغل بعض الوقت فيحتاج إلى الراحة.. وهو إله عنصري متحيز لا يعرف سن مخلوقاته إلا بني إسرائيل وهو يشرع الفضائل لتداول الداخلي بين أفراد هذه العشيرة الإسرائيلية.

"للأجنبي تقرض برياً ولكن لأخيك لا تقرض برياً".

(تثنية ٢٣)

"لا تأكلوا جثة ما.. تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها".

(تثنية ١٤ الآية ٢١)

"أبناء المستوطنين النازيين عندكم تستعبدونهم إلى الدهر.. وتتخذون منهم عبيداً وإماء.. أما أخوتكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف".

(لأويين ٢٥)

أهي عنصرية؟؟

وإذا جاز لليهودي أن يفكر بطريقة عنصرية ويتصور الرب رباً له وحده ولجنسه من بني إسرائيل والفضائل للتداول الداخلي فقط بين عائلته الإسرائيلية فكيف يجوز على الله رب العالمين ورب الإنس والجن والنمل والسمك والطير والنجوم والأفلاك وملائكة العرش ورب ما نعلم وما لا نعلم.. كيف يجوز لهذا الرب أن يأمر بالفضيلة بطريقة عنصرية فاليهود وحدهم يتقارضون بدون ربا.. ويأكلون اللحم.. أما الآخرون من الأمم فحلال سرقتهم واستغلالهم وإلقاء المزابل والجثث المنتنة المتعفنة إليهم ليأكلونها.

هذه الآيات تحمل في ثناياها روح التلمود الذي كتب الأفلام اليهودية فيما بعد..

فالتلمود هو الكتاب الشرعي الذي أحل لليهود دم الأمم وما لها وكرامتها وعرقها..

ولا يمكن أن تكون تلك الآيات تنزيل الرب الرحيم ولا يحتاج الله القادر على كل شيء إلى يوم راحة يلتقط فيه أنفاسه بعد خلق الدنيا.

"في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس".

(الخروج ٣١)

ولا ينام الرب ليتيقظ.. وهو الذي تبرأت ذاته عن كل العوارض..

"اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه".

(ذكريا الإصحاح ٢)

ولا يمكن قبول هذه اللغة على أنها نوع من الشعر والمجار لأنها تتضمن إهانة للذات المقدسة.

وكما لا يصح في لغة الشعر والمجاز أن تقول أن الله يخطئ أو يجهل.. كذلك لا يصح أن نقول أن الله يندم أو يتعب أو ينام.. ولو ذكرت هذه الكلمات في شعر عن الله لوصفنا الشاعر بأنه سيء الأدب أو ملحد أو وجودي متحرر من شرط الإيمان.. فكيف يكون الحال والتوراة تنسب هذا الكلام لنبي يتكلم بوحى من الله وليس بهذيان الخاطر..

ولا ينفع الاعتذار القائل بأن كلمة يندم واردة بمعنى يغفر.. وهو اعتذار أفحش من التهمة.. فمعناه أن النبي لا يعرف أبجدية اللغة التي يخاطب بها أتباعه.. ومعناه أن الله لم يحفظ لسانه من التخليط والزلل ومعناه في الحالين إن كتاب التوراة ليس كتاباً محفوظاً من الله.. وإنما هو مجموعة عبارات ألقيت على عواهنها وقيلت كيفما اتفق بما فيها من ضلال الخاطر وسقطات اللسان وعجز التعبير.. والتوراة ذاتها تنفي هذه الصفة بما فيها من صفحات مضيئة بالغلة الذروة في جمال التعبير وحلاوة اللغة والتفسير المقبول أنها سطور دخيلة وعبارات محرفة وآيات دسها على التوراة الكتاب المتأخرون الذين حاولوا إعادة كتابة العهد القديم بعد أن أحرق عدة مرات وضاعت أصوله أيام بختنسر وأيام تيتوس.

ومما يدل على ذلك ما نجده في أسفار التوراة الأولى من عبارات تنفى عن الله هذا التخليط.

"ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم".

(العدد إصحاح ٤٣ الآية ١٩)

وما نقرأ من سفر أشعياء من عبارات جميلة تنزه الله عن هذا العبث.

إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يتعب ولا يعيا.

(أشعيا ٤٠)

من تشهبونني فأساويه يقول القدوس.. ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه.. من الذي له الجنود بلا عدد.. ويدعو كل واحد منهم باسمه.

(أشعيا ٤٠)

أنتم شهودي يقول الرب.

تؤمنوا بي وتفهمون إني أنا هو.

قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون.

أنا أنا الرب وليس غيري مخلص.

أنا الله ولا منقذ من يدي.

(أشعيا ٤٣)

"هكذا يقول الرب ملك إسرائيل أنا الأول والآخر ولا إله غيري".

(أشعيا ٤٤)

"ويل للطين الذي يخاصم اليد التي تسويه ويقول لها ماذا صنعت". (أشعيا ٤٥)

هنا تلمع درر التوراة ولآلئها بين أكوام الرديم والدشت.

ومثل آخر للآيات المريبة التي تدعيها التوراة على الله وما قالته عن قوس قزح في سفر التكوين.

وتزعم التوراة أن الله وضع قوس قزح في السحاب بعد طوفان نوح كعلامة ميثاق بينه وبين الأرض يذكر نفسه حتى لا عيود فيغرق الأرض بطوفان آخر إلى قيام الساعة.

"وضعت قوسى في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض فيكون مني الشر سحابا على الأرض وتظهر القوس في السحاب. إنى اذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيه في كل جسد فلا تكون الحياة طوفان لتهلك كل ذي جسد.

وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذي أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض".

(التكوين إصحاح ٩)

ومعنى الآية إن ظاهرة قوس قزح م تحدث في السماء إلا بعد طوفان نوح حينما وضع الله تلك القوس في السماء كعلامة ليتذكر بها العهد الذي قطعه للأرض.

وهو كلام مخالف لما يقوله العلم الثابت من أن قوس قزح ظاهرة طبيعية تحدث أينما التقى بخار الماء المعلق في الجو بأشعة الشمس فيؤدي انكسار الأشعة على درأت الماء المعلقة إلى انحلال النور الأبيض إلى ألوان الطيف السبعة التي تظهر في قوس قزح.

وليس من شروط هذه الظاهرة العلمية أن يأتي نوح ويحدث الطوفان فتوضع القوس في السماء ميثاقاً إلهياً بين الله والأرض.. بل هي وفقاً لمعلوماتنا ظاهرة قديمة موجودة منذ أن وجدت الشمس في السماء ومنذ أن حدث التبخر والضباب والسحب ودرات الماء المعلقة.. وكلها أمور قديمة منذ آدم وقبل آدم منذ أن نزلت الأمطار على أول نبات في تاريخ الأرض القديمة..

وأي طالب ثانوي يستطيع بتجربة بسيطة في معمل الطبيعة أن يصنع قوس قزح

صناعي باستخدام مجموعة مناشير زجاجية يكسر بها الضوء بدلاً من ذرات الماء ويحلله إلى قوس من الأطياف السبعة.

ولا أحاول بهذا أن انقض أية ربانية بالعلم الظاهر بل أحاول أن أشرحها.. وعلمنا الظاهر في النهاية أتفه من أن ينقض أية من آيات الله.. ولكنه مجرد سؤال.

ثم لماذا يضع الله علامة في السماء ليتذكر ميثاقه مع الأرض ولماذا يحرص على تذكير نفسه وليس من صفاته أنه ينسى أو أن له ذاكرة ضعيفة مثلنا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً.

ونحن نقول في القرآن: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(مريم:٦٤).

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(سبأ:٣).

أن كلام التوراة هنا مثير للشك.

فإذا جئنا إلى سفر اللاويين فنحن نقرأ من صفوف الصنوف الطقوس والكهانات عجباً.

وكمثل واحد من عشرات نقرأ في الإصحاح ١٤ من سفر اللاويين هذه المكالمة العجيبة بين الرب وموسى التي يفرض فها الرب طقوسها يؤديها الكاهن على من يشفى من البرص.

"على الكاهن أن يأخذ عصفورين يذبح أحدهما في إناء خزف على ماء حي أما العصفور الآخر فيأخذه مع قطع من خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمس الكل في دم العصفور المذبوح ثم ينضح من الدم على المريض الذي شفى من برصه سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء.. ويغسل المتطهر ثيابه ويستحم ويقيم خارج خيمته سبعة أيام وفي اليوم السابع يحلق شعر رأسه ولحيته وحواجب عينيه ويغسل كل ثيابه ويستحم في اليوم الثامن يأخذ خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية صحيحة وثلاثة أعشار دقيق ملتوتة بزيت ويأخذ الكاهن خروفاً ليقربه ذبيحة.. ويأخذ من دم

الذبيحة ويضع على الأذن اليمنى للمريض الذي شفى من البرص وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى (هل يذكرك هذا الكلام بالزار).

ثم يغمس الكاهن أصبعه اليمنى بالزيت الذي على كفه اليسرى وينضح من الزيت بإصبعه سبع مرات أمام الرب ومما بقى من الزيت يضع على الأذن اليمنى للمريض وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى.. ثم يعمل الكاهن ذبيحة خطية ويحرقها قرباناً على المذبح.

ما هذه الطقوس البهلوانية..؟؟

هل كلم الله عبده موسى بهذا الكلام حقاً.

صدق الله العظيم إذ يقول في القرآن عن حال اليهود أمام كلام التوراة الذي داخله الكثير من التحريف:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (هود: ١١٠).

فمن يقرأ مثل هذا الكلام ولا يداخله الشك المريب؟؟

هذه طقوس لو صدقت لتكون إلا تعذيباً لا فروضاً دينية.

ثم ما هذه اللعنة الغريبة التي انزلها الله بالأبرص؟؟

"والأبرص الذي فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ورأسه مكشوفاً ويغطى شاربيه وينادي أنا نجس نجس.. أنه نجس يقيم وحده.. خارج المحلة يكون مقامه".

(لأويين ١٣)

وهي لعنة لا تفسير لها إلا ما كان يشاع في الأزمان القديمة من أن البرص مرض معدي ووراثي.. وبالتالي لابد من نفي الأبرص وعزله إيثاراً لسلامة مخالطيه.

وهو رأي ثبت فساده.

والذي نعلمه الآن من علوم الطب الثابتة أن البرص مرض غير معدي ولا وراثي.

وتبقى لعنة التوراة وما فيها من إجراءات عزل شديدة.. أموراً غير مفهومة.

ونأتي إلى الملائكة فنجد أن التوراة جدفت عليهم كما جدفت على الله وأكثر..

نرى الملائكة الذين جاءوا يبشرون إبراهيم بميلاد إسحاق يأكلون العجل المشوى واللبن والزبد الذي قدم لضيافتهم.

"ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع يطهوه ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعه قدامهم (قدام الملائكة)..

وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجر.. وأكلوا".

(سفر التكوين إصحاح ١٨)

وهذا كلام غير ما يرويه القرآن عن هذه الزيادة وكيف أن إبراهيم قدم العجل لضيوفه من الملائكة.

"فلما رأي أيدهم لا تمتد إليه نكرهم".

أي استنكر منهم إنهم لم يمدوا أيديهم ليأكلوا وهو كلام موافق لما ورد في سفر القضاة عن الملائكة بأنهم لا يأكلون..

تقول التوراة عن الملاك الذي جاء يبشر منوح بولادة ابنه شمشون.

"فقال منوح لملاك الرب انتظر كي نطهو لك جدي معزى.. فقال ملاك الرب لمنوح.. ولو عوقتني لا أكل من خبزك وأن عملت قربانا فالرب أصعده.. لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب".

(قضاة ١٣)

ومعنى الآية الصريح أن الملائكة لا يأكلون ومن صفات الملائكة الثابتة لنا أنهم لا

يأكلون ولا يتزاوجون. والتوراة في هذه الآية في سفر القضاة تؤكد هذا إما ما جاء في سفر التكوين فهو مناقضه صريحة وتخليط.

ولكنه أمر ليس بمستغرب.. فمادام الرب في التوراة ينام ويستيقظ ويتعب ويندم.. فالملائكة يأكلون.. فبهذا تكمل الصورة المادية للملأ الأعلى.

أما الفرية الثانية فنجدها في سفر الملوك الأول إصحاح ٢٣ حيث تدعى التوراة على الروح القدس أنه يملك أن يقوم بوظيفة الشيطان فيرسله الله للتدليس على الأنبياء.

"رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعم يساره فقال الرب من يغوى أخاب فيصعد ويسقط في رموت جلعاد فقال هكذا وقال ذاك هكذا ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه وقال له الرب بماذا..فقال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه.. فقال انك تغويه وتقتدر فأخرج وأفعل هكذا".

الروح القدس الذي وصفه الله بالروح الأمين.. يجع من نفسه روح كذب ويجعل منه الله روح كذب يدلس على الأنبياء.. لماذا..؟؟ وأين إبليس.. وأين دوره.. وهو أمام الغواية.. أهناك أزمة في الشياطين والأرواح الشريرة والجن والمردة وهواتف الضلال ورسل الغواية.

ولو أراد الله أن يختم على الأبصار والقلوب لختم عليهم دون حاجة إلى هذا التزوير ودون حاجة إلى إنزال ملائكته العالين في ذي الكذابين المدلسين.

هذه مسألة يرفضها الذوق.

ومن وصفه الله بالروح الأمين يلزم لنا أن ننزهه عن أن يكون روحاً للكذب.

أما الأنبياء فهم كبش الفداء في التوراة.. كلما اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود لم يجدوا أمامهم غير أنبيائهم ينزلون فيهم قتلاً وتشريداً وتلطيخاً وتحريفاً وتزييفاً.. لم ينج واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ.. فنوح يسكر حتى يفقد وعيه ولوط يضاجع بناته وهو سكران.. ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي.. ويهوذا يزنى بامرأة

ابنه.. وداود يشتهي زوجة الضابط أوربا فيزني بها ويرسل زوجها للقتل ليتخلص منه.. أما بين داود النبي فهو أشبه ببيت عري.. الأخ يغتصب الأخت والابن يضاجع زوجات أبيه في عن الشمس وأمام جميع إسرائيل.. أما سليمان فيختم حياته المجيدة بعبادة الأصنام.. وهارون يصنع العجل الذهب ويعبده.. حتى موسى تقول التوراة أنه خان ربه ولم يقدسه.. ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت في سيناء هو وهارون.. ويقول الرب لهما في التوراة: لأنكما ختنماني ولم تقدساني لن تدخلا الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً ويدخلها عبدي يشوع بن نون حتى أيوب نقله عن لسانه أنه ينكر البعث والقيام من القبور.

ولم يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام الذين بنوا صرح الدولة اليهودية من التلطيخ.. وكلها خطايا غليظة مما يستنكر على الرجل العادي فما بال النبي.

ويقول المدافعون عن التوراة.. أن ما جاء في العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيها ولا مبالغة.. وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث فقد أراد أنبياءه أفراداً عاديين يخطئون.. ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته.

الله أراد أن يبعث إلى الخطاءين خطاءين مثلهم والأنبياء كما هو معلوم ليسو من طينة أخرى مختلفة عن طينة البشر بل هم مثلنا تماماً.. وفيهم الضعف والغواية التي فينا.

وحوار الله معنا كان دائماً من خلال شخصيات بشرية متعثرة مثلنا.. وهذه أروع صورة لحرية إرادة الإنسان ولعظمة نعمة الله.

إن الله أراد أن يقول لنا.. إن من يخطئ ويتوب ويستغفر.. سوف أكون أول من يتوب عليه ويقبل رجعته ويفرح به أكثر من فرحة الراعي بعودة خروفه الضال إلى القطيع.. وقد أعطانا من أنبيائه الخطاءين أبلغ المثل على تلك المغفرة وهذا هو أسلوب الله في تعمله مع شعب التوراة..

كان يطلبهم كما يطلب الراعي خرافه الضالة.. كان يؤيد خلاصهم.. وكان يدبر

لهذا الخلاص بأدوات بشرية من وسطهم ليتم قصده في النعمة وفي حرية الإنسان بآن واحد.

هذا هو كلام المدافعين.

وهو كلام مردود عليه.

فكيف نقود قطيعاً من الخراف الضالة بكبش ضال مثلهم.. أليس طبيعياً أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجاً حسناً.. كيف يدعو الأنبياء إلى الوصايا العشر وفي أولها لا تقتل لا تسرق لا تزني ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزنى أنا لم أقل أن الأنبياء يجب أن يكونوا آلهة وإنما قلت أن من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجاً حسناً بحكم كونه المختار من ملايين.. وإلا سقطت عنه وظيفته – وأصبح تشريف الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفاً بلا معنى.. وتحول من قدوة حسنه إلى مثل شيء وأصبح مضللاً بدلاً من أن يكون هادياً ولم يكن الأنبياء أبداً مضللين بل كانوا هداه وكانوا خير قدوة.. ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبياء ويشوهون سيرتهم ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف.

ويعود المدافعون المتحمسون للتوراة فيذكروننا بالواقع وبأن الإنسان ابن النقص والتردي والخطيئة.. وإن رفض الواقع لمجرد أنه لا يعجبنا وهو نقص فينا وليس في الواقع.. وإن أجمل ما في التوراة هو صدقها في هذه النقطة.. في رواية الواقع كل الواقع عن الأنبياء ولو كان كريها.. ألم يقل داود.. " أن الكل زاغوا وفسدوا.. وليس من صالح.. ولا واحد.. "

ألم يقل النبي محمد عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف "كل بني آدم خطاءون وأفضل الخطاءين عند الله التوابون".

ونحن نقول هذا فعلاً.. ولكن أي خطايا ممكن أن يقع فيها الأنبياء إذا اخطئوا..

إن كل واحد يخطئ على مستواه.

وخطايا الأنبياء ليست الخطايا الغليظة التي يرتكبها المجرمون العاديون كالسرقة والقتل والزنا وإنما خطاياهم هي من نوع الحسنات في عرفنا.

إنك إذا تصدقت بنصف مالك تقول أنك أحسنت ولكن النبي إذا فعلها فهي في عينه خطيئة لأن الصدقة عن نبي هي أن يعطى كل ماله ولا يبقي إلا خبزة كفافه.. إذا احتفظ لنفسه ببضعة دراهم اعتبرها سقطة توجب الندم والحزن إلى ما نسميه فضيلة الادخار عندنا إذا قارفها النبي فهي خطيئة لأن النبي يراها خطية أن يدخر لنفسه فهو لا يفكر في نفسه ولا يرى نفسه وإنما هو دائماً مشغول بالله متوكل عليه.. فإذا شغل نفسه في لحظة عابرة فإنه يستغفر ويتوب ويخر ساجداً باكياً مبتهلاً ومثل هذه اللحظات هي خطايا الأنبياء.

أما السرقة والقتل والزنا فهي خطايا المتشردين والمجرمين وارازل الناس.. وأن يصح أن يوصم بها الأنبياء مطلقاً ونتخذ من لنبي داود مثلاً.. ونحاول أن نتأمل شخصيته على ضوء التوراة ذاتها.. لنحاول أن نفهمه من خلال كلماته وأفعاله كما ترسمها لنا التوراة.. ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي ترويها التوراة عن داود المحاصر في مغارة عدلام وهو يتأوه من العطش ويهتف مستنجداً.. ومن يسقيني شربة ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب.

تقول التوراة في سفر صمويل الثاني إصحاح ٢٣.

"فشق الأبطال" الثلاثة جيش الفلسطينيين واستقوا ماء من بئر بيت لحم وحملوه وأتوا به إلى داود فلم يشأ أن يشربه بل سكبه للرب وقال حاش يارب أن أفعل ذلك.. هذا دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم.. فم يشأ أن يشربه".

إلى هذا المدى الخارق بلغت قدرة داود على ضبط شهوته.

فهل هذا الرجل هو الذي يرى امرأة عارية على السطوح فيهتاج وينحط في شهوته إلى حضيض السوائم والدواب فيتآمر على قتل أنبل ضباطه ليفوز بالمرأة لنفسه... وعنده

بدل الزوجة الواحدة سبع زوجات وما لا يحصى من السراري برواية التوراة ذاتها.. فهو ليس المراهق المحروم الذي يمكن أن يسيل لعابه لامرأة في نافذة.

إن هذا السلوك الرفيع وهذه الشخصية التي رسمتها التوراة لنبيها العظيم داود تنقد التهمة تماماً. وتبطل أكذوبة المرأة العارية على السطوح.. وإذا قبلنا هذه القصة فيجب أن نرفض تماماً حكاية السقوط المقزز مع امرأة السطوح.

وسليمان الحكيم على حق إذ يقو في سفر الأمثال:

"شهوة الأبرار هي للخير فقط".

(الأمثال ١١)

فشهوة الرجل البار لا يمكن أن تتجه إلى امرأة عارية على سطوح.. وإنما البار شهوته هو للخير فقط..

وقد كان داود نعم الرجل البار.

وما كان يمكن لداود وهو القائد العسكري النبيل أن يفتك بضابطه الأمين أوريا الحشي..

وأي صورة ترسمها التوراة لأوريا الحشي..!؟

إنها ترسم له صورة ملاك..

إنه يرفض أن يتنعم بأجازة وبلحظات سعيدة مع امرأته الجميلة وزملاؤه في الجيش يحاربون في الصحراء وتابوت الرب راقد في الخيام.

اقرأ هذه السطور التي تذكرها التوراة عن أوريا.

"وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلة.. فأرسل داود في طلب أوريا (يمنحه أجازه يقضيها مع امرأته في محاولة لستر هذا الحمل السفاح) وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك.. فخرج أوريا من بيت الملك

مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته بل نام على باب بيت الملك فأخبره داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته قال داود لأوريا إما جئت من السفر فلماذا لا تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداود إن تابوت العهد وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على وجه الصحراء.. وأنا أتى إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر".

هو البطل النبيل والخادم المخلص للدين والمبدأ إلى آخر لحظة..

هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل إلى الموت ليأخذ امرأته غنيمة.. ألا أن يكون داود وغدا زنيماً..

ومن أجل ماذا تلك الشناعة؟!

من أجل لحظة نزوة مع امرأة ذات مساء على السطوح

جريمة سوقية محال أن يقع لنبي..

ومن هو ذلك النبي.. داود.. الذي صورته التوراة مع أعدائه الذين انقلبوا عليه مثل شاول وابشالوم.. فإذا هو مثال النبل والشهامة.

داود.. الذي وضفته التوراة بأنه شاعر وموسيقار وعابد ومتبتل.. حاله حال الساجدين الخاشعين الذين يبكون خوفاً ورهباً وفناء في الله..

ولنقرأ معا هذه الكلمات لداود من أسفار صمويل الثاني.. وأخبار الأيام الأول ٢٩- والمزامير.. لنرى أي الرجال هو..

أنت سراجي يا رب تضئ ظلمتي.

بك اقتحمت الجيوش وتسورت الأسوار.

أنت الدرع لكل من يحتمي بك.

أعطيتني قفاً أعدائي فسحقتهم كغبار الأرض مثل طين الأسواق أدوسهم إذا

تسلط على الناس رجل بار فإنما يتسلط بتقواه لك وخوفه منك.

مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك كل ما في السماء والأرض لك الملك وقد ارتفعت فوق الجميع والغنى والكرامة من لدنك ومن أنا ومن شعبي حتى نقرب إليك شيء.. فإنما من يدك أعطيناك وما نحن سوى غرباء أمامك نزلاء مثل آبائنا أيامنا كالظل على الأرض وليس رجاء وهذه الثروة التي هيأناها لنبني لك بيتاً إنما هي من يدك.

الكل قدر زاغوا وفسدوا.. ليس من يعمل صلاحاً ولا واحد عومت سرير بدموي.. ذوبت فراشي.. ساخت من الغم عيني صارت لي دموعي خبزاً.. عطشت إليك نفسي اشتاق إليك جسدي كما الأرض الجافة إلى الماء تعبت من صراخي.. يبس حلقي.. كلت عيناي من انتظار إلهي أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب انظر مذلتي يا رافعي من أبواب الموت احفظني مثل حدقة العين بظل جناحيك استرني من الخطايا المستترة أبرئني.

ما أنا إلا دوده كل الذين يرونني يستهزئون بي يحركون الشفاه ويهزون الرؤوس قائلين.. اتكل على ربه.. فينجه ربه.

أحاطت بي ثيران كثيرة رجال أقوياء اكتنفوني فغروا أفواههم كالأسود.

كالماء انسكبت ذابت عظامي.. صار قلبي كالشمع لصق لساني بحنكي.. أحاطت بي كلاب ثقبو يدي ورجلي يا رب يا قوتي أسرع إلى نصرتي.. أنقذ من السيف نفسي خلصني من فم الأسد لأني على قوسي لا اتكل وسيفي لا يخلصني إنما أنا مثل زيتونة خضراء في بيت الله توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد.

يا خائفي الرب سبحوه.. مجدوه يا معشر ذرية يعقوب.

إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي لا تذكر خطايا صباي من أجل جودك يا رب أنت حصني.. ممن أخاف إن نزل على جيش لا يخاف قلبي.

حولت بكائي إلى رقص لكي تترنم لك روح ولا تسكت إلى الأبد أحمدك يا إلهي جميع عظامي تقول يا رب.. أذللت بالصوم نفسي كمن ينوح على أمه انحنيت حزيناً.

كثيرة هي نكبات الشرير أما المتوكل على الرب فالرحمة تحيط به.

لا تحسد الخطاءين والآثمين فأنهم مثل حشيش الأرض سريعاً يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون.

إنما كخيال يتمشى الإنسان.

أنفسنا منحنية إلى التراب.

لصقت بالأرض بطوننا.

كن عونا لنا يا رب.

لأنك لا تسر بذبيحة وبالقرابين لا ترضى.

وإنما ذبائح الله هي روح منكسرة.

يا ممالك الأرض غنوا رنموا للسيد للراكب على سماء السماوات القديمة.

وهذا هو داود.. وتلك كلماته.

نبع من الرقة والحنان والتبتل والخشوع الساجد المرتجف.

وممن تصدر تلك الكلمات من ملك على عرشه دانت لسيفه الأرضين.. وهو مع ذلك في غاية الفناء والانهزام والتضاؤل أمام ربه.. يقول له.. كالماء انسكبت ذابت عظامي صار قلبي كالشمع.. عطشت إليك نفسي.. اشتاق إليك جسدي كما الأرض الجافة للماء.. لا غرابة في أن يقول لنا القرآن إن الله أمر الجبال والطير بأن تسبح معه.. "يا جبال أوبي معه والطير".. وذلك لفرط ما رأي من جمال تسبيحه.

أمثل هذا الرجل يمكن أن ينحط إلى مستوى سوقي من الإثم الخشن الغليظ لأنه

رأي ذات مساء امرأة على السطوح..

لتحكم الأذواق قبل العقول..

حتى إن سلمنا بأن القصة أثر من واقع فإنها لا يمكن أن تكون بالصورة المقززة التي روتها التوراة.. فمثل هذا الرجل إن اخطأ فهو لا محالة مخطئ على مستواه.

ولنسمع كلمات سليمان في سفر الأمثال ذلك الرجل الذي اتهمته التوراة بأنه ختم حياته بأشنع الآثام.. بعبادة الأصنام

أي نبع صاف من الحكمة كان يتدفق من ذلك الرجل

تأتي الكبرياء فيأتي الهوان

ومن المتواضعين تأتي الحكمة

لا ينفع الغنى في يوم السخط

خنزيرة هي المرأة الجميلة العديمة العقل

شهوة الأبرار هي للخير فقط

من يشتغل بحقله يشبع خبزاً

الكسل لا يسمك صيداً

ثروة العاطلين إلى نقص وغنى المجتهدين إلى زيادة الحكماء يتشاورون والمتكبرون يختصمون.

كثرة الغلة بقوة الثور.

في كل تعب منفعة صلاة المستقيمين أفضل من ذبيحة الأشرار.

لقمه يابسة ومعها سلامه خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام الأحمق الساكت يحسب مع الحكماء.

اسم الرب حصن حصين.

الخمر مهزئة ومن يترنح بها فليس بحكيم.

من سب أباه أو أمه ينطفئ سراجه في حدفة الظلام

أعد فرسك ليوم الحرب أما النصر فمن الرب.

الصيت أفضل من الغنى.

الزارع إثماً يحصد بليه.

قال الكسلان.. الأسد في الخارج.. لو خرجت سوف اقتل في الشوارع.

امرأة فاضلة.. من يجدها.. إن ثمنها يفوق اللآلئ.

هي تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين.

هي كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد.

وبثمر يديها تغرس كرماً.

سراجها لا ينطفئ في الليل.

تمد يديها إلى المغزل.

تبسط كفيها لفقير وتمد يديها للمسكين.

ما أحسن امرأة متقية الرب.

أعطوها من ثمر يديها.

إما الجمال والحسن فهما غش وظل باطل.

أما أيوب الذي نقلوا عن لسانه أنه ينكر البعث والنشور والقيام من القبور.. فلنقرأ عنه ذلك الحوار الجميل بينه وبين صديقه الذي جاء يعوده وهو مريض.

أيوب – ليته هلك اليوم الذي ولد فيه والليل الذي قال قد حبل برجل ليكن ذلك اليوم ظلاماً لا يشرق عليه نهار ليمسكه الدجي فلا يفرح بين أيام السنة ولا يدخ في عداد الشهور ليكن ليلاً عاقراً لا يسمع فيه هتاف لتظلم نجومه ولا يرى هدب الصبح لأنه لم يغلق أبواب بطن أمي ولم يستر الشقاوة عن عيني.

هو ذا طوبي لرجل يؤدبه الله فلا ترفض تأديب القدير لأنه يجرح ويضمد ويسحق ويداه تشفيان.. في الجوع يفديك من الموت وفي الحرب من حد السيف.. من سوط اللسان تختبئ فلا تخاف من الخراب إذا جاء.

ليت كربي يوضع في موازين لأنه الآن أثقل من رمل البحر.. من أجل ذلك نطقت باللغو.. أني لا أكحت كلام القدوس ولكن ما قوتي حتى أصبر.. هل قوتي قوة الحجارة وهل لحمي نحاس لبس حمي الدود مع ذرات التراب.. إذا اضطجعت أقول متى أقوم.. ويطول الليل وأشبع أرقاً حتى الصباح.

ليت الله يتكلم إليك يا أيوب فيعلن لك خفيات حكمته فتعرف أن ما أصابك به أقل من آثامك.. ومن أنت حتى تصل إلى عمق الله أو تبلغ نهاية حكمته.. هو أعلى من السماوات أعمق من الهاوية أوسع من الأرض أعرض من البحر.. أما الإنسان ففارغ عديم الفهم كجحش الفرا.

كلت عيني من الحزن وأعضائي كلها كالظل.. صرت مثلاً للبصق في الوجه.. رجوت الهاوية بيتاً لي وفي الظلام مهدت فراشي وقلت للقبر أنت أبي وللدود أنت أمي.

لا يغرك فرح الفاجر وسعادته فهو إلى لحظة ولو بلغ السماوات طولاً ومس رأسه السحاب فما يلبث أن يبيد والذين رأوه يقولون أين هو.. كالحلم يطير.. كطيف الليل.

لله الهيبة والسلطان.. هل من عدد جنوده.. هو ذا القمر منطفئ والكواكب منكدرة فكم بالحري الإنسان الرمة وابن آدم الدود.

فقال أيوب مستغفراً:

حي هو الله..

أنه مادامت في صدري نسمة حياة ونفخة الله في أنفي لن تتكلم شفتاي إثماً ولن يلفظ لساني بغش حتى اسلم الروح لا أجاوز كمالي.

أين هي الحكمة.. الغمر يقول ليست معي والبحر يقول ليست عندي ولا توزن بفضة ولا يعادلها ذهب ولا يذكر المرجان والبلور لها ثمناً ولا يساويها ياقوت كوش الأصفر.. وتحصيلها خير من تحصيل اللآلي ولكن من أين تأتي.

هي ذي مخافة الرب هي الحكمة.

هي سطور من بحر التوراة تشهد للأنبياء الألو الأكابر.. بالعظمة والحكمة والتقوى.. هؤلاء الأنبياء ذاتهم الذين مسختهم سطور أخرى.. ويبدو أن كلمة نبي لا تعني عند التوراة الكثير.. فها هي التوراة تروى عن استشارة أحد الملوك لأنبيائه عجباً.

"فجمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربع مائة رجل وسألهم أذهب إلى رموات جلعاد للقتال أم امتنع فقالوا أصعد فيدفعها السيد الرب ليد الملك".

أربعمائة نبي في لحظة واحدة ومكان واحد أي أنبياء هؤلاء.. ولماذا يرسل الله أربعمائة نبي ف لحظة واحدة ومكان واحد أي أنبياء هؤلاء.. ولماذا يرسل الله أربعمائة نبي في جيل واحد ومكان واحد.. ألا يكفى مبعوثاً إلهياً واحداً إن كلام التوراة عن أنبيائها يد على أن هؤلاء الأنبياء كانوا أشبه بدراويش الحسين..

كل من لبس مسحاً ونطقاً برؤيا فهو نبي.

وهذا يفسر لنا هذه الكثرة العجيبة.

ويفسر لنا هو أن شأن النبي عند التوراة.

"قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب.. هكذا قال السيد

الرب.. ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا.. أنبياءك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرائب".

ومعنى الآية أنه كان هناك غير الأربعمائة نبي أنبياء كثيرون آخرون مدعون "والت يا بن آدم فاجعل وجهك ضد بنات شعبك اللواتي يتنبأن من تلقاء ذواتهن".

وكانت هناك مدعيات نبوة أخريات اختلط الحق بالباطل والزائف بالأصيل.

والتوراة التي بين أيدينا هي شاهد عدل على هذا التشويش لقد أصبح القارئ يواجه منتدى من الأنبياء يزيد أدعياؤه على الألف نبي ونبيه..

نبوءات آخر الزمان

لا تذكر مصر في التوراة إلا ويتهددها رب إسرائيل بالويل والبثور وعظائم الأمور.

وتكاد تكون التوراة منشوراً سياسياً ضد مصر.

من أيام نوح وبدون سبب واضح يلعن نوح أبناء ولده حام (وهم الفلسطينيون والمصريون) ويدعون عليهم بأن يكونوا عبيداً لنسل ابنه الآخر المحبوب سام (وهو اليهود) ومستبعدين لهم مدى الدهر.

والسبب الظاهر الذي تسوقه التوراة هو أن نوح سكر وتعرى داخل خبائه فأبصر الابن الصغير حام عورة أبيه مكشوفة فأخبر أخويه سام ويافت فجاءا وستراً عورة أبيهم..

وهو كما نرى سبب لا يدعو لنصب لعنات تصيب الأجيال وأجيال الأجيال إلى مدى الدهر.. خاصة وأن الأولاد صغار والأب سكران طينه على حد قول التوراة.

ولكن الذي يقرأ التوراة كلها يكتشف أن الحكاية ليست حكاية نوح وإنما هناك ثأر قديم وحقد دفين بين شعب إسرائيل وأرض مصر منذ أيام الفراعنة.

والتوراة تطلق على مصر منذ ذلك التاريخ (بيت العبودية) بالنظر إلى ما عاناه شعب إسرائيل من اضطهاد أيام الفراعنة..

وكان مفهوماً بعد أن بعث الرب موسى وهارون إلى فرعون وقضى على مصر بآيات مدمرة مهلكة مثل تحويل مياه النيل إلى دم وضرب المصريين بالوباء وبالدمامل والبواسير وإغراق البيوت بالضفادع والجراد وإهلاك المحاصيل وإصابة البلاد بالقحط والمجاعات ثم إغراق فرعون وجنوده وشق البحر لموسى وشعبه من بني إسرائيل وإخراجهم من بيت العبودية إلى خلاء سينا الفسيح.. ومعهم وعد بأرض تفيض لبناً وعسلاً.. كان المفروض بعد كل هذه النكبات التي ثأر بها الرب لشعبه من مصر.. أن ينتهي الحقد.. وينتهي الثأر.. ولكن قارئ التوراة يكتشف العكس.. يكتشف أن شعب إسرائيل قد حم حقده معه ووضع ثأره بين عينيه ولم يكفه ما أنزل الرب بمصر من نكبات وبطول التوراة وعرضها لا يأتي ذكر مصر إلا ومعه لعنة أو وعيد أو تهديد أو نبوءة بالدمار والخراب.. أو وعد وعقد بالتمليك.

من الإصحاح ١٥ في سفر التكوين نقرأ:

"وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرا".

والمراد بنسل إبراهيم في التوراة أبناء إسحاق ويعقوب وليس إسماعيل فإسماعيل غير معترف به فهو نسل الجارية المصرية هاجر وهو فرع ملوث لا نبوه فيه ولا أمل ثم تتوالى الوعود والعهود.

"كل مكان تدوسه بطون أقدامك يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي تكون تخومكم.. وقد اختارك الرب لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب اللذين على وجه الأرض".

وتقوم مملكة داود ويتحقق وعد الرب ويغرق اليهود في السمن والعسل ثم يعصى بنو إسرائيل الرب بالرغم من النعمة التي خصهم بها ويعبدون الأصنام ويتمردون عليها فينزل بهم لعنته ويشتتهم بين الشعوب ويشردهم بين الأمم وتمضى الأجيال والأجيال.. ونقترب من آخر الزمان فتعود التوراة لتتحول إلى وعد حلو عزب بالنسبة لشعب إسرائيل

وصرخة فناء وإفناء بالنسبة لمصر والمصريين ويرتفع صوت أشعيا بالنبوءات المدمرة.

نقرأ في الإصحاح ١١ من سفر أشعيه.

"ويكون في ذلك اليوم أن يجمع الرب جميع المشتتين والمنفيين من أبناء إسرائيل ويهوذا من أربعة أطراف الأرض.. لينقض الجميع على أكتاف الفلسطينيين عرباً وينهمون بنى مشرق معاً.. يكون على أدم وموآب امتداد أيديهم وبنو عمون في طاعتهم ويبيد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر قوة ريحه ويضربه إلى سبع سواق يعبر فيها بنو إسرائيل بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه كما كان لإسرائيل يوم الخروج من أرض مصر".

وفي الإصحاح ٤٣ من نفس السفر:

"لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك".

إلى هذه الدرجة يجعل الرب من مصر خروف ضحية يذبحه لشعبه الحبيب إسرائيل فدية.

وفي مكان آخر من نفس السفر يقول الرب:

"أهيج مصريين على مصريين فيحال كل وواحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن وأغلق على المصريين في يد حاكم قاس فيتسلط عليهم.

وتجف الحياة من البحر ويجف النهر وتنتن الأنهار وتضعف السواقي ويتلف الزروع وتجف الرياض والحقول على ضفاف النيل.. والصيادون لا يجدون صيداً.. وكل من يلقى بشص إلى النيل ينوح.. ويكتئب كل عامل بالأجرة.

أين ذهبت حكمة فرعون وماذا قضى رب الجنود على مصر.

لقد ألقى الرب عليها روح شريرة أوقعت مصر في ضلال وأضلت أبنائها فإذا بهم يترنحون كالسكران في قيئه فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذنب.

في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود وهو يهزها.

وتكون أرض إسرائيل ويهوذا رعباً لمصر كل من ذكرها يرتعب.. في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتقدم القرابين لرب الجنود يقال لأحدها مدينة شمس.

ويصرخ المصريين.. ويقيمون في وسطهم عموداً ومذبحاً للرب فيرسل الرب لهم محلمياً ومخلصاً يخلصهم ويرجعون للرب فيستجيب لهم ويشفيهم.

في ذلك اليوم تكون سكة مصر إلى آشور (سوريا) فيجيء الآشوريين إلى مصر ويذهب المصريون إلى آشور وتكون إسرائيل هي الثالثة وهي البركة في وسط الكل".

وفي العراق ماذا يحدث؟

اقرأ الإصحاح ٣٤من سفر أشعيا

"للرب تكون ذبيحة في البصرة وذبحا عظيماً في أرض أدوم وترتوي الأرض بالدم وتتحول أنهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً لا تنطفئ إلى الأبد يصعد دخانها.

إلى أبد الآبدين لا يكون من يجتاز فيها.

ويرثها القنفذ والقوق والكركي والغراب ويمتد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء.. رؤساؤها وأشرافها يكون عدماً ويطلع في قصورها الشوك والعوسج فتكون مسكناً للذئاب.

هناك يستقر الليل ويجد له محلاً.

خراب إلى يوم الدينونة"

لماذا كل هذا ؟؟!

يقول إشعيا في نفس الإصحاح في الآية ٨:

"إنه انتقام الرب من أجع دعوى صهيوني".

من أجل شعبه الحبيب إسرائيل.

ثم يعود فيصرخ أشعيا:

"استيقظي استيقظي البسي عزك يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أورشيلم لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس".

(أشعيا ٥٢)

مفهوم أن الأغلف والنجس هما النصراني والمسلم.

هل اكتفت التوراة بهذا..لا..

"هكذا قال السيد الرب ها أنا ذا ارفع إلى الأمم يدي إلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك.. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخيب من انتظره".

(أشعيا ٤٩)

إلى هذه الدرجة..

سوف تلحس الشعوب والأمم في آخر الزمان تراب نعل حذاء إسرائيل فلا رب إلا لإسرائيل.. ولا رب للشعوب والأديان الأخرى.. والرب لا يفكر إلا في مصلحة شعبة الحبيب إسرائيل.. أما الباقون فعليهم أن يلحسوا غبار نعل حذاء إسرائيل.

والمسيحيون ورجال الكنسية من جميع الممل يعترفون بهذا الكلام ويقبلونه ويعتبرونه كتابهم بالرغم من أن المسيح عليه السلام علمهم أن الله هو رب العالمين وأنه ليس رب عشيرة ولا قبيلة وأن للجميع نصيب في رحمته ومحبته.. وأن المسيح ينزل في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً وليس ليجعل شعوب الأرض تلحس غبار نعل حذاء إسرائيل.

إن التوراة في هذه الفقرات من نبوءتها تجدف على الملة المسيحية ذاتها.

فعلى أي أساس يعترف رجل الكنسية الصالح بهذه النبوءات وعلى أي صورة يفهمها وعلى أي معنى يجعل منها كتابة المقدس ومصدر إلهامه الديني وهل لا تعترف به ولا بدينه ولا بشعبه إلى آخر يوم في الدينونة.

ولنسمع بقية نبوءات أشعيا.

ويكون في آخر الأيام إن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه الأمم وتسير إلى شعوب كثيرة ويقوون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله آل يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبيله لأنه من صهيون تخرج الشريعة فيقضى بين الأمم لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم ورماحهم مناجل ولا ترفع أمه على أمة سيفاً ولا يعرفون الحرب فيما بعد.

(أشعيا إصحاح ٢)

من صهيون تخرج الشريعة.

وإلى صهيون تنتهي الشريعة وهي التي تضع إسلام في الأرض ويحتكم إليها الكل.

هذا مبدأ العالم ونهايته في نبوءات أشعيا.

فماذا يقول أرميا وحزقيال.

"ما أيام بأتي أزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا وأكثر نسلهم بالإنسان والحيوان ويكون كما سهرت عليهم بالاقتلاع والهدم والإهلاك كذلك أسهر عليهم بالبناء والغرس".

(ارميا ٣١)

"هكذا قال السيد الرب.. إني أجمعكم بين الشعوب وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها وأعطيكم أرض إسرائيل فتأتون إليها وتزيلون وجاثاتها وأعطيكم قلباً واحداً

واجعل في داخلكم روحاً جديداً وانزع منكم قلب الحجر وأعطيكم قلب لحم.

(حزقيال ١١)

ثم يعدهم الرب بأكثر من هذا بأنه سوف يحارب يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ويقضى عليهم حينما ينزلون من الشمال لغزو إسرائيل.

حينئذ يتصدى لهم الرب دفاعاً عن شعبه الحبيب ويقيهم نقرأ هذا في سفر حزقيال ٣٨.

"وكان إلى كلام الرب قائلاً يا بن أدم أجعل وجهك على جوج أرض مأجوج وتنبأ عليه وقل هكذا قال الرب ها أنا ذا عليك يأجوج وأرجعك واضع شكائم في فكيك وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرسانا وجماعتك العظيمة من دروع وتروس.

في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة.. وتصعد وتأتي كزوبعة وتكون كسحابة تغشى الأرض أنت وجيوشك وشعوب كثيرين معك.

تنبأ يا بن ادم وقل لجوج.. تأتي من بلادك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرين معك كلهم راكبون جماعة عظيمة وجيش كثير وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشى الأرض.. في الأيام الأخيرة يكون".

ماذا سيفعل الله لجوج ومأجوج من أجل شعبه الحبيب.

"يدك الجبال ويسقط العاقل ويسقط الأسوار إلى الأرض.. ويعاقبه بالوباء وبالدم ويمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً.

وبذلك يتعظم الرب ويتقدس في عيون الأمم الكثيرة ويعلم الكل إني الرب".

وفي الإصحاح ٣٩ من نفس السفر حزقيال.. يعود الرب فيهدد يأجوج ومأجوج لأنه مد يده على شعبه الحبيب إسرائيل.

"ها أنذا عليك يأجوج.. أتى بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك

اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك.. ويجعلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل.

على وجه الحقل تسقط لأنى تكلمت يقول السيد الرب ويكون في ذلك اليوم إني أعطى جوج موضعاً هناك ليقبروا في إسرائيل وهناك يدفنون جوج وجمهوره كله ويسمون وادي جمهور جوج".

إلى آخر يوم في الدنيونه لا وجود إلا لإسرائيل.

والرب مفترغ لإسرائيل يحارب لها ويدافع عنها ويسقط أعدائها ويسوق الأمم لتلحس نعالها وتسف ترابها.

ولهذا تفهم لماذا أعفى اليهود أشعيا وأرميا وحزقيال من التلطيخ وتركوا صفحاتهم مضيئة.. ولماذا لم يلحقوهم بمصير الأنبياء الأكابر الأول الذين دنسوهم ورموهم بالأقذار..

ونحن نسأل.. هل تلتقي هذه النبوءات مع روح المسيحية وتعاليم المسيحية ورب المسيحية الرب الذي يساعد الكل ويحب الكل ويرحم الكل.

على أي أساس قبلت الكنيسة المسيحية هذه النبوءات واعتبرتها وحيا إليها وجعلت منها صميم كتابها دون تحليل أو نقد ودون إنى شك.. مع إن تعارضها مع الفكر واللاهوت المسيحي يوجب الشك كل الشك.

ولقد كان لوثر ذكياً متقدماً في فكره وعلمه حينما قال:

"لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا في شيء ما".

وبذلك خرج من مأزق التوراة ومزالقها..

***

مفتاح التوراة

لا يحتاج من يريد إثبات التحريف والتفسير والتبدل في التوراة إلى أدلة من الخارج فالتوراة ذاتها تعطيه المفتاح.. وتعطيه الأدلة على تحريفها بصريح آياته.

اسمع داود في المزامير الإصحاح ٥٦ يقول:

"ماذا يصنعه بي البشر اليوم كله يحرفون كلامي

وارميا

قال الرب لي بالكذب يتنبأ الأنبياء بأسمى

لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم

بالرؤى الكاذبة وسكر القلب يتنبئون

(أرميا ١٤)

أما وحي الرب فلا تذكروه معه لأن كلمة كل إنسان تكون وحياً إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود ألهنا.

ها أنا ذا على الذين يتنبئون بأحلام كاذبة.

(أرميا ٢٣)

وفي سفر يشوع الإصحاح ١٠ نسمع عن سفر مفقود اسمه سفر "ياشر".

"قال بيشوع للرب.. يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون.

فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه.. أليس هذا مكتوباً في سفر "ياشر".

فأين سفر ياشر هذا.. وماذا كان مدوناً فيه.. ولماذا فقد دون بقيه الأسفار. والشك

في أسفار التوراة قديم ومعترف به من طوائف الملة المسيحية أنفسهم.. فالكنسية البروتستانتية حذفت من التوراة أسفار باروخ وطوبيا ويهوديت والمقابين الأول والمقابين الثاني وبعض إستسير وبعض دانيال.. بينما اعترفت الكنسية الكاثوليكية بتلك الأسفار فهل زاد الكاثوليك في كلام الله ما ليس منه.. أم أن البروتستانت هم الذين حذفوا من كلام الله ما لا يجوز حذفه.

أننا إما نصوص لا يثق فيها أصحابها.. ونحن لم نأتي بجديد.. ولا نروج لشك مختلق.. بل إن الشك قائم وموجود.

يقول اكستائن اعلم علماء المسيحية في القرن الرابع إن اليهود حرفوا النسخة العبرانية من التوراة خاصة مأورد في بيان زمان الأكابر الذين قبل الطوفان إلى زمن موسى.. فعلوا هذا لتصير النسخة اليونانية غير معتبره ولعناد الدين المسيحي.

ويفهم من هذا الكلام أن النسخة اليونانية محرفه هي الأخرى لأنها منقولة عن العبرانية.

ومعلوم أن النسخ الثلاثة الأصلية المعتمدة من التوراة وهي النسخة العبرانية واليونانية والسامرية.. بها اختلافات جوهرية فنحن نقرأ في النسخة السامرية إن أدم عاش إلى زمن الطوفان وأنه أدرك نوحاً وعاش معه ٢٢٣ سنه.

وفي النسخة العبرانية تقرأ أن آدم قد مات قبل نوح بمقدار ١٢٦ سنة.

وفي النسخة اليونانية نقرأ إن ادم مات قبل ولادة نوح بمقدار ٧٣٢سنة.. فأيها نصدق أيها نكذب علماً بأن انسخ الثلاثة اتفقت على أن عمر آدم ٩٣٠ سنة.

لا نزاع في إن مثل هذا الخلاف موجب لرفع الثقة عن النسخ الثلاثة وهو دليل قاطع على أن الله لم يحفظ التوراة من العبث.

وفي النسخة العبرانية من سفر التثنية نقرأ ما نصه:

"فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً".

وفي النسخة السامرية نقرأ هذه العبارة هكذا:

"فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم".

وهم يقولون أن النسخة السامرية حرفت.

كيف يعترفون بإمكان تحريف التوراة ثم يعودون في مكان آخر ليقولوا أن تحريف التوراة مستحيل بدليل ما جاء في أشعيا.

"أما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد".

وكيف تفسر الاختلافات التاريخية الواردة في النسخ المتداولة إن لم تكن هي العبث بعينه.

مثل آخر في الإصحاح ٢١ من أخبار الأيام الثاني عن قصة يهورام الذي تقوم فيه التوراة أنه ظلم وطغى وقتل إخوته الذين هو أفضل منه فسلط الله عليه مرضاً خرجت به أمعاءه ثم قال في الآية ٣٠ ما نصه:

"كان ابن ٣٢ سنة حين ملك.. وملك ثماني سنين".

فتكون مدة حياته أربعين سنة.

ثم ذكر في الإصحاح الذي يليه أن سكان أورشليم ملكوا ولده أخزيا عوضاً عنه.. ثم قال في الآية الثالثة ما نصه:

"كان اخزيا بين ٤٢ سنة حين ملك.. وملك سنة واحدة": ومعنى هذا أن يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين وشراح التوراة يعترفون بهذا الخلط ويقولون أنه غير مهم.. كيف؟؟!

وماذا يبقي من التوراة.. إذا قلنا أمام كل آية أنها لا تهم.

ومثل آخر ما ورد في المزمور ١٠٥ آية ٢٨ في النسخة العبرانية ما نصه (ولم يعصوا كلامه) وفي النسخة اليونانية (وهم عصوا كلامه) وتعليق الشراح الأفاضل على هذا الخلط أنه كانت هناك بحوث شتى في هذا الفرق وأن الظاهر أنه حدث إما لزيادة حرف أو لتركه.

ومثل آخر ما نقرؤه في سفر أرميا إصحاح ٣٦ وملخصه أن ارميا النبي استدعى شخصاً اسمه باروخ وكلفه أن يكتب تهديدات شديدة أوصاها الله إليه ليقرأها على الشعب وعلى الملك يواقيم ملك يهوذا.. فقرأها على الشعب وأخذها بعضهم ليقرأها على الملك فلما سمع بعض منها أخذها وألقاها في النار التي كان يستدفى بها فأحرقها فغضب الله غضباً شديداً وقال أنه لا يكون من نسله أحد يجلس على كرسي داود.. وعيسى من نسله.. فما رأي إخواننا المسيحين وهم يقرؤون في لقاء الإصحاح الأول أن جبريل بشر مريم بأن الرب سيعطي عيسى كرسي داود بنص العبارة:

"ويعطيه الرب الآلهة كرسي داود أبيه ويملك كل بيت يعقوب إلى الأبد.

فكيف يصدق أهل الإنجيل ما تقوله التوراة وهي تكذب إنجليهم.

ومثل آخر ما نجده في سفر أخبار الأيام الأول إصحاح ٧ من أن أولاد بنيامين ثلاثة وفي الإصحاح الثامن من السفر نفسه نقرأ أن أولاد بنيامين خمسة وفي الإصحاح ٤٦ من سفر التكوين تقول لنا التوراة أنهم عشرة.. فأيهم نصدق.

وقد اعترف شراح التوراة بهذا الخلط وقالوا عزراً الذي صنف السفر قد خلط بين الأبناء وأبناء الأبناء لأن الأوراق التي نقل منها النسب كانت ناقصة.

ومعنى هذا أن عزرا كان مجرد مؤرخ ينقل عن أوراق وليس نبياً يستند إلى وحي.. وهو اعتراف خطير يهدم التوراة من أساسها ويحولها إلى تأريخ عادي.

ومثل آخر ما ورد في سفر التثنية الإصحاح ٢٣ من أن ابن الزنا لا يدخل جماعة الرب إلى الجيل العاشر.

ثم نقرأ بعد هذا ف نسب داود في الإنجيل أن جده العاشر هو فارص بن يهوذا الذي قالت عنه التوراة أنه بن زنا.. فهل معنى هذا أن داود لا يدخل جماعة الرب.

ومثل آخر ما نقرأ في إنجيل متى الآية ٢٣ عن المسيح عليه السلام:

"ثم أتى وسكن في بلد تسمى الناصرة ليكمل قول الأنبياء أنه يدعى ناصرياً..".

ومعنى هذا أن كتاب العهد القديم باعتباره الحافظ الوحيد "لقول الأنبياء" كان لابد

أن نجد فيه هذا القول الذي أورده الإنجيل عن بن مريم الذي يسكن الناصرة ويدعى ناصرياً.. وكن هذا الكلام أسقطه المحرفون من التوراة.. فلم يذكروا شيئاً عن الناصرة ولا النصارى.. ولو إن تلك الآية وردت في التوراة لا تنهي الأشكال بين اليهود والمسيحيين.

كل هذه الشواهد تجمع على حدوث التحريف التوراة وأن في التوراة الكثير من العبارات التي تحتمل الصدق والكذب وبالتالي لا يصح أن تنسب إلى الله.. لأن الله لا ينسب إليه إلا الصدق.

يقوم آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره في شرح آيات من سفر صمويل ما نصه: وقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الآخر والاجتهاد في التأويل عبث والأحسن أن نسلم من أول وهلة بالأمر الذي لا سبيل إلى إنكاره وهو أن منصفو التوراة وإن كانوا ذوى الهام فغن الناقلون لم يكونوا كذلك.

وقال جان ملز في الصفحة ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلده دربي ١٣٤٣:

اتفق أهل العلم على أن نسخ التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت

من أيدي عسكر بختنصر وما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزراً ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة اتنيبوكس.

إن التوراة ذاتها هي أصدق شاهد على ما بها من تحريف وهذه حقيقة تهم المسلم والمسيحي بالنظر إلى احتراف الإسلام والمسيحية كليهما بالتوراة وبأنها كتاب نزل بالوحي الإلهي على موسى وأن فيها هدى ونور.

قد حرص القرآن على الإشارة إلى ما دخل التوراة من تحريف في قوله تعالى عن اليهود وكتابهم:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٨).

وبقى على مفكري الكنيسة المسيحية أن يضعوا أيديهم على هذه المواضع المحرفة.. ليس استجابة لملاحظة القرآن ولكن استجابة لآيات التوراة ذاتها.. ولصراخ أرميا وهو يصيح لاعناً أقلام النساخ الكاذبة.. وتنزيها للعقيدة المسيحية من الظلام المريبة التي تلقيها عليها التوراة المحرفة.

وقد سام عديد من مفكري المسيحية الأفاضل في جلاء هذه المسائل كما سبق وذكرنا.. ولكن بقى الكثير ولا يعنى هذا رفض التوراة برمتها فهذا أمر لا ندعو إليه وسوف تظل التوراة مصدر الهام ديني بما فيها من العديد من الأسفار والصفحات المضيئة المشرقة.. وستظل النافذة الوحيدة الأمينة المفتوحة على قب اليهود وعقليتهم وتاريخهم وديانتهم وتعاليم أنبيائهم.. والقليل الذي اخترناه من كلمات داود وسليمان وأيوب وأشيعا وأرميا ويوشع يشهد بعلو القدم الصوفي وعمق الوجدان الديني عند هؤلاء الصفوة الخيرة من الأنبياء العظام.

يقول أشعيا:

"قال ملك أشور بقدرته يديه صنعت وأبدعت ونهبت شعوباً وحططت ملوكاً فأصابت يديه ثروات الشعوب كعيش وكما يجمع الصقر البيض المهجور جمعت أنا كل الأرض في يدي..

ترى هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على من يحركه.. كيف نسى ذلك المتكبر أنه استعمله الله وأنه كان محض أداة.. وما كانت لتتحرك الأداة إلى أهدافها لولا يد الله التي تحركها.

لمحة جميلة من لمحات التوحيد.

وما أكثر اللمحات الدينية والأخلاقية التي نجدها متفرقة ضائعة بين سطور التوراة.

لا تبت أجرة أجير عندك إلى الغد.

لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تضع حجراً.

لا تنتقم لا تحقد لا تبغض أخاك في قلبك.

أحب قريبك كنفسك.

لا ترقى رقية ولا تسأل عرافاً ولا تستشير الموتى ولا تزاول السحر ولا تصدق الفأل.

(تثنية ١٨)

لا تستعينوا بالجان ولا تطلبوا خداماً من الأرواح السفلية أو توابع من الذين يصاحبون الجن فإنهم نجس. (اوينيين ١٩).

(تثنية ٤)

الختان هو أني يختن كل واحد غرلة قلبه فلأغلف الحق هو من كان أغلف القلب.

اختنوا غرلة قلوبكم

(تثنية ١٠)

لا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعنى أعين الحكماء (تثنية ١٦)

لا يلبس رج ثوب امرأة وكل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب.

(تثنية ٢٢)

لا تكمم الثور في دراسة

(تثنية ٢٥)

ليس بالقوة يغلب الإنسان وإنما بالرب.

(صمويل ٢)

كنصيب النازل إلى الحرب يكون نصيب الذي يقيم عند الأمتعة فإنهم يقتسمون بالسوية.

(صمويل ٣٠)

وفي التوراة نجد المعنى المجازي الأصلي لكلمة الأب والابن والمعنى المجازي الأصلي للنبي الأله.

في سفر الخروج إصحاح٧.

"قال الرب لموسى انظر.. أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك".

وموسى في هذه الآية إله على فرعون بالمعنى المجازي.. باعتباره مستخلفاً على الأرض من قبل الله ليكون ربا (مربياً) ومخلصاً (معلماً لطريق النجاة) لفرعون وليس إلهاً

بالمعنى الحقيقي للكلمة.. فلم يدعى موسى الإلوهية ولم يزعم له أحد الإلوهية.. ولم تزعم له التوراة إلوهية.. إنما كلها معاني مجازية والربوبية المقصودة هي ربوبية من قبيل التشبيه والمجاز وليس من قبيل الحقيقة.. فلا أحد يمكن أن يكون إلهاً بالحق والحقيقة إلا الله الواحد الأحد ذاته الذي ليس كمثله شيء.

وبالمثل كلمه الابن والأب.

في التثنية الإصحاح ١٤.

"أنتم أولاد الرب إلهكم".

وفي صمويل الثاني إصحاح ١٣ يقول الرب عن سليمان:

"أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً".

وفي المزمور الثاني يقول داود:

"إني اخبر من جهة قضاء الرب.. قال لي أنت ابنى أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصي الأرض ملكاً".

وليس في دعوى داود بالطبع أنه ابن الله ولم تزعمه التوراة هذه النبوة.. وإنما هي نبوة بالمعنى المجازي.. هي تعبير عن الخصوصية والأعزاز والقرب من الله.. أشبه بقرب الابن من أبيه. وحينما ينقل داود عن الرب قوله: "أنا اليوم ولدتك" فإنما يعني.. أنا اليوم خلقتك لتكون لي حبيباً محبباً مثل الابن لأبيه.

ولذلك تقول التوراة عن شعب إسرائيل أنه ابن الله البكر.

"هكذا يقول الرب.. إسرائيل ابنى البكر.. قلت لك أطلق ابني ليعبدني".

والمقصود هنا بالطبع ليست البنوة وإنما القرب والخصوصية.. وعلى ضوء هذا الاستخدام لكلمة الأب والابن والرب المخلص في التوراة.. يمكن أن نفهم المقصود فهذه

الكلمات فهماً صحيحاً.. فالإنجيل يقوم على ناموس التوراة.. ولم يأتي المسيح ليهدم الناموس بل ليكلمه..

أما نبوءات آخر الزمان الواردة في التوراة عن ارتفاع شأن إسرائيل.. فالقرآن عندنا يتنبأ بمثلها بأن إسرائيل سيكون لها علو وطغيان في آخر الزمان.. ولكن مع الفارق أنه سيكون علواً ينتهي بهزيمة وخراب وتحطيم لما بنت إسرائيل ولما عمرت.. وليس كما تقول نبوءات التوراة علوا إلى نصرة مطلقة وسيادة على العالمين إلى يوم الدينونة.

وفي مثل تلك النبؤات لا تصلح الأقلام حكماً.

وإنما التاريخ وحده هو الحكم العدل.

فليتوجهوا إلى ربهم الذي تصوروه رباً لهم وحدهم.. رب إسرائيل.

ولنتوجه نحن مسلمون ومسيحيون إلى رب كل شيء.. رب السماوات والأرض رب العالمين.

ونضع القلم لمن يحضر المشهد الأخير في خاتمة الزمان ليسطر نهاية الكتاب بما يرى ويشهد.

***

تعريف الصهيونية

انه الخطر الحقيقي الذي يهدد العالم الإسلامي الآن .. خطر ظهر شره فى فلسطين والعراق والشيشان والكثير من البلدان التي وقعت تحت سطوت السلاح بينما وقع الآخر اقتصاديا او أخلاقيا ..

إننا بأمس الحاجة إلى معرفة العدو الذي يستتر خلف كل شئ ضار حولنا ويبث سمه في العديد من نواحي حياتنا إنها الصهيونية تلك الكلمة التي تتردد في فلسطين ويظن البعض إن الأمر يخص فلسطين فقط او القدس فقط إنما الأمر اكبر من ذلك بكثير

"محاولة الغوص في أعماق أولئك الشراذم من اليهود الذين طغت عليهم الأنانية فنسوا إنسانيتهم، ليسلموها إلى أحقادهم، فكشفت طبيعة الصهيونية التي قلت فيهم كل ما يمت إلى الإنسانية من خلال الجري وراء أطماع غير عقلانية، وعندما تعمد إلى ترقيع اليهودية البالية، للسيادة على العالم بأساليب يتقزز منها العقل ويتبرأ منها الطبع السليم".

أولاً: تعريف الصهيونية:

عرف المؤلف حفظه الله كلمة صهيون كما فسرها اليهود بمعان ثلاثة:-

١- **مدينة الملك الأعظم.**

٢- **اسم حصة سماه نبي الله داود.**

٣- **اسم جبل يقع في شرق القدس.**

أما المفهوم السياسي فهي الفلسفة القومية لليهود التي أخذ اليهود تعاليمها من التوراة والتلمود الذي سيطر هو والبروتوكولات على الصهاينة سيطرة كاملة فيسيرون على مخططاتها، جاعلين مبدأ استهجان الغير مبدأهم الأول.

ثانياً: نشأة الحركة الصهيونية:

يرجع المؤلف نشأة الصهيونية على تهجير اليهود عن فلسطين على يد البابليين في

القرن السادس وعلى يد الرومان تيطس ٧٠ ب.م ثم إصرار النصارى على عدم رجوعهم إلى بيت المقدس إبان الفتح الإسلامي إلا أن ظهور منظمة تهتم بهذه الفكرة كان في أغسطس ١٨٩٧م في مدينة بازل السويسرية حين اجتمع ٢٠٤ من قادة اليهود وانتخبوا هرتزل رئيسا للمنظمة وقاموا بصياغة البروتوكولات السرية التي افتضح أمرها بعد ذلك.

ويعرف المؤلف اليهود أنهم كتلة بشرية ضئيلة من أول أمرها في الوجود، وعلى هذا أجمع المؤرخون حتى في زمن أنبياء اليهود كانوا حفنة قابلة لأن تذروها الرياح بين إمبراطوريات الشرق، وإن كان هناك جذور لبدء الحركة الصهيونية من سقوط الدولة اليهودية إلى اضطهاد الروس ودخول اليهود إلى الغرب واستعبادهم فإن بوادرها تأسيس حركة تحرير لليهود من نير استعباد الأوربيين وهي التي عرفت باسم الماسونية وكانت تحاول مساعدة اليهود وإخراجهم من محنتهم وخيرتهم بين ست خيارات:-

١- فمن من رأى أن خلاصهم عن طريق المسيح المنتظر فلجأوا إلى التدين.

٢- ومنهم من رأى أنهم يجب عليهم الذوبان في مجتمع غير اليهود ونسيان الذاتية اليهودية للتخلص من هذه المعاناة.

٣- ومنهم من رأى أن الهجرة من البلاد التي يعانون فيها إلى غيرها من البلدان التي لا تعامل اليهود بعنصرية هي الأجدى.

٤- وبحثوا في فكرة الاستيطان ودعمها من قبل رجالات المال الأثرياء وإنشاء الجمعية اليهودية للاستعمار ولم تكن فلسطين هي المكان الوحيد المقترح بل هناك أمريكا والبرازيل والأرجنتين وغيرهم.

٥- ومنهم من رأى البقاء في أوربا الشرقية لذلك رأوا أن من مصلحتهم الانضمام للحركات الشعبية والسياسية والاقتصادية ثم التملص منها وتحقيق أغراضهم من خلال الحكومات التي نصروها ووضعوا دساتيرها.

٦- ورفض بعضهم كل الحلول السابقة ورأوا العودة إلى التعاليم التوارتية مهما

كلفهم ذلك من مال و جهد ونفس.

ويرى المؤلف أن الشخصية اليهودية متباينة تباينا شديد وما ذاك إلا لما مرت به عبر التاريخ من تجارب، ولذا فإن السمة اللازمة لهم هي الحقد والكراهية والبغض الذي قد يتعدى غير اليهودي إلى اليهود أنفسهم.

ويوضح المؤلف أن الصهيونية هي طريق عودة اليهود إلى فلسطين الذي يسبقه عودتهم إلى اليهودية وأنها لا يمكن أن تحدد لأنها (مبدأ متغير حسب مصلحة معتنقيه)، وكل تعاريفها تدور حول شخصية اليهود الفريدة المتميزة عن باقي شخصيات الشعوب.

ويرى المؤلف أن اليهود لا يشكلون شعباً لأن ديانتهم لا تعطيهم تلك المفاهيم التي يقوم عليها الشعب ، ويرى أنهم جماعات منها السفارديم وهم يهود الشرق الأصليون ، ومنها الأشكناز وهم يهود أوربا ، ورأت الصهيونية أن بإمكانها أن تخلق بينهم تجانساً وتوحيداً بين عقائدهم وهذا كان المسيطر على أفكار القادة من الصهاينة آنذاك.

***

التراث اليهودي

من يقرأ التراث اليهودي يشعر أن جميع المؤامرات على الأديان وجميع الإنقلابات المخربة والثورات على القيم والمبادئ خرجت من هذا التراث . وأن كل معول هدم كان وراءه توجيه يهودي .

ودعونا نتأنل وصايا التي تفيض بها صفحات التلمود والبروتوكلات :

* تذكروا بأن الشعب الذي لا يهلك غيره أيهلك نفسه

* يجب أن نخلق جيل الذي لا يخجل من كشف عورته (والدليل على هذه النقطة هي اللقطات التي تظهر بالأفلام أوالموضات الحديثة التي سادت العالم)

* علينا أن نشعل حربا بين الشعوب ونضرب الدول بعضها ببعض أفبهذا يصبح جميع المتحاربين في حاجة لأموالنا فنفرض عليهم شروطنا

* نسيطر على الإنتخابات ووسائل الإعلام والصحافة (وقد سيطر عليه بالعالم الرأسمالي بالمال والنساء أوبالأحزاب والسلطة بالعالم الإشتراكي)

* أدفعوا بالجماهير العمياء للثورة وسلموهم مقاليد الحكم ليحكموا بغوغائية وغباء وحينئذ نأتي نحن ونعدمهم فنكون منقذين للعالم

* أرفعوا شعار الحرية أوإهدموا بها الأخلاق والأسرة والقومية والوطنية

* أرفعوا شعار العلم وأهدموا به الدين (مثلما فعل أتاتورك مؤسسة الدولة العلمانية عندما وقف عام ١٩٢٣ بالبرلمان التركي وقال " نحن الأن بالقرن العشرين أولا نستطيع السير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون")

* الذي يعرقل مؤامراتكم أوقعوه بالفضائه ثم هددوه بكشفها أأو أوقعوه بمأزق مالي ثم أنقذوه منه أوإذا تعذر الأمر إغتالوه أثم أقتلوا قاتله لتدفن أسرارنا معه .

* أقتلوا القوميات والوطنيات بالدعوة إلى الأممية والمواطنة العالمية

* كل ما عدا اليهود حيوانات ناطقة سخرها الله في خدة اليهود

فاللاهوت اليهودي لا يؤمن بالأخرأ وقد شطبوا كل ما جاء عنها بالتوراةأ فالقيامة عندهم هي قيام دولتهم في فلسطين أ والبعث بعثها والنشر نشرها أ ويوم الحساب هو اليوم الذي يحاسبوا به كل الأمم أ ويوم عودة المسيح يأتي ويباركهم ويختارهم نوابا له في حكم العالم وإقامة ملكوت الله في الأرض أ والعجيب بأنهم كفروا بالمسيح حينما جاء ثم أعلنوا إيمانهم بعودته وشرطوا هذه العودة بأنها رجعة من المسيح ليختارهم رؤساء وحكاما للعالم وللأبد .

والفكر اليهودي يلقي غلالة من الأسرار والطلاسم والكتمان والغموض على كل شيء أ والكبالا والسحر وعلم الأعداد والحروف وتسخير الشياطين من علومهم التي شغفوا بها وروجوها ونشروها .

وكانت وسيلتهم إلى هدم الكتب السماوية هي تفسيرها بالتأويل وذلك لرفض المعاني الظاهرة وإختراع معان باطنية تهدم الغرض الديني وتفسد هدفه .

ونستطيع أن نرى أثر توجيه اليهودي في الفلسفات العبثية والعدمية والمادية والفوضوية والإباحية أ وأحيانا نلمح أسماء يهودية خلفها مثل : سارتر - فرويد - ماركس - ماركوز .

***

التدليك العاطفي

لماذا لا نعترف اننا في عصرّ الترويج العلني للدعارة والشذوذ والجريمة .. وان بلاتوهات السينما تحولت إلى مخادع للتفرج المشروع على

أساليب الإغراء الجنسي ...

نظرة سريعة على الافيشات والملصقات وأفلام الحب المرسومة على الجدران .. حب ودماء .. حب وضياع .. حب تحت الشمس .. جنون الحب .. جريمة الحب .. ليلة حب .. وصورة فخذ عريان في بانيو .. وامرأة ملقاة في الفراش وفوقها رجل .. وخنجر مغروز في صدر عريان .. ومدفع رشاش في يد امرأة لابسة مايوه .. ومروض وحوش في يده كرباج وتحت قدميه جينا لولو بريجيدا ومكتوب عليها رغبات شاذ .. ورجل في حضن رجل ومكتوب عليه .. علاقة سرية .. وعجوز متيم بحب لوليتا في الثالثة عشر من عمرها .. وحب سن الثمانين .. وسفاح الحب .. ولهيب الحب .. ونار الحب .. ولذة الحب .

وما أبعد كل هذا الهذيان عن الحب .

وما أشبهه بمؤامرة على أعصاب المتفرج وجيبه وعقله .. مؤامرة ابتزاز صريحة تحت شعار انبل المشاعر الانسانية .. مشاعر الحب

لماذا لا يسمون الأشياء باسمائها الحقيقية ؟

ولماذا لا نقرأ الصور بدقة حتى لا تخدعنا العناوين ؟

لماذا لا نعترف اننا في عصر الترويج العلني للدعارة والشذوذ والجريمة .. وان بلاتوهات السينما تحولت إلى مخادع للتفرج المشروع على أساليب الإغراء الجنسي !

إنه الجنس والدم .. ولا شيء آخر ..

وما أبعد الجنس عن الحب ..

وما أكثر ما يتم الجنس بلا حب .. بل ومع الكراهية .

وما أكثر ما يتم شراؤه وبالمال .

إن الجنس والحب لم يكونا أبدا توأمين .

والحب الحقيقي هو قطعا شيء آخر غير ما نرى في السينما .

إنه في ذلك الحنان الذي رأيناه بين آبائنا وامهاتنا .. وتلك المودة والرحمة اللتان تؤلفان بين قلب الرجل وقلب المرأة وتصنعان تحالفا هادئا على عمل الخير وعشرة ناعمة خالية من هذه التشنجات الدرامية التي نراها مدسوسة علينا في التلفيزيون والسينما .

هذه المآسي المفتعلة والمواجع المزيفة والأنات الجنسية والرعشات المخبولة هي بضاعة التجار وسلعة المنتجين اليهود يدسونها لنا مع الأفيون والهروين والحشيش والماريجوانا وعقار L.S.D .

انها جزء من عملية واسعة لتخدير العالم تمهيدا للسطو عليه .

وشركات التليفزيون والاذاعة والاسطوانات ودور النشر والمجلات تسابقت في نشر هذه الحمى احيانا بقصد واحيانا بغفلة ودون وعي كما يحدث في بلادنا .

وانتشرت الأغاني التي تقوم بهذا النوع من التدليك العاطفي أمثال ... من سحر عيونك ياه .. وتنطقها المطربة .. من سحر عيونك ياح .. وتعال يالله يالله .. تعال يالله يالله .. في غمضة عين .

وننام على الحب ونقوم على الحب .

وعذبني وانا أجري وراك .

ويا مدوبني دوب .

وهي أغاني لا تختلف كثيرا عن أغنية كرستين التي تصرخ فيها كرستين بصوت

هامس اجش فيه فحيح ..

أوه يا حبيبي .

مرة أخرى أرجوك .

ثم نسمع في ألمانيا عن الهر يواخيم درسين صاحب مجلة " سانكت باولي تسايتونج " وكيف أنه أنشأ حزبا في هامبورغ اسماه " حزب الجنس " وشعار الحزب هو الحرية الجنسية للجميع .

وهذه نهاية التدليك العاطفي .. المؤامرة التي رسمها التجار الأذكياء للقضاء على العالم .

***

عجائب أنبياء بني إسرائيل الخارقة

فى سفر الملوك الثاني تأكيد جديد على ترسيخ الخرافة، فنقرأ أنّ ((ملاك الرب)) نزل وتكَـلّم مع (إيليا) وقال له: قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة، وقل لهم: أتعتقدون أنه لا يوجد إله فى إسرائيل، فتذهبون لتسألوا (بعل) زبوب (إله عقرون)؟ {وأرجو مراعاة أنني أعدتُ صياغة المكتوب فى النص، نظرًا لرداءة الأسلوب المُربك المُتخبلط) كما أنّ كاتب الوحي العبري تكلّم عن شخص أطلق عليه (رئيس الخمسين) وطلب من إيليا أنْ ينزل من الجبل، فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين: إنّ كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلتْ نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين معه. فمات هو ومن معه حسب كلام الرب (الملوك الثانى - الإصحاح ١) فى هذا الإصحاح يُلاحظ العقل الحر ما يلى: ١- الإصرار على تصوير الرب على أنه مُتخصّص فى قتل البشر وإبادتهم، وليس بالقتل (العادى) وإنما بأسلوب الحرق ٢- قدرة الرب العبرى على إنزال النار من السماء ٣- ظهور اسم الإله (بعل) من جديد، وأنّ أهالى السامرة كانوا يعبدون هذا الإله، ولهذا ذهبتْ حملة إيليا العسكرية لتذكيرهم بوجود إله لإسرائيل، أى الإصرار على (الوحدانية) كما حدث بعد ذلك فى الإسلام.

وتتواصل الخوارق العبرية (مع الصياغة الرديئة) فنقرأ عن شيء عجيب أطلق عليه الكاتب العبرى (بنو الأنبياء) الذين فى أريحا. فهل حدث تجمع من (أبناء الأنبياء)؟ ومن هم؟ خاصة أنّ الكاتب العبرى لم يذكر أية تفاصيل عنهم. ومع مواصلة القراءة فإنّ أبناء الأنبياء ذهبوا إلى أليشع وقالوا له: أتعلم أنه اليوم يأخذ الرب سيدك من على رأسك (هكذا دون توضيح فتكون جملة ناقصة مثل الجملة التى تبدأ ب (مُبتدأ) بدون خبر) فقال أليشع: نعم أعلم فاصمتوا. فقال له إيليا امكث هنا لأنّ الرب قد أرسلنى إلى الأردن. وأخذ إيليا رداءه ولفّه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا كلاهما فى اليابس (الملوك

الثانى - الإصحاح ٢)

فى هذا الإصحاح فإنّ كاتب الوحى العبرى، يُعيد حكاية (شق البحر) من أجل سواد عيون بنى إسرائيل وفق أسطورة اضطهادهم فى مصر، رغم أنهم ندموا لخروجهم من مصر، وعاتبوا موسى وهارون وقالوا لهما: إننا كنا نأكل السمك واللحم فى مصر مجانًا، وقالوا ليتنا نرجع إلى مصر. وأكثر من ذلك قالوا: ليتنا نموت فى مصر. أما ما حكاه الكاتب العبرى عن ضرب ماء نهر الأردن حتى انفلق، فلا يوجد مُبرّر كما حدث فى قصة الخروج الأسطورية، وإنما نقرأ عن شىء مختلف تمامًا، حيث أنّ إيليا وابنه أليشع كانا يسيران، فإذا بمركبة من نار وخيل من نار فصلتْ بينهما. فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء (هكذا !!) فصرخ ابنه أليشع: يا أبى.. يا أبى: مركبة إسرائيل وفرسانها.. ولم يره بعد.. فأمسك ثيابه ومزّقها قطعتيْن (فكيف لم يره وفى نفس الوقت أمسك ثيابه ومزقها؟!) ورجع ووقف على شاطىء الأردن. وأخذ رداء إيليا الذى سقط عنه وضرب الماء وقال: أين هو الرب إله إيليا؟ ثم ضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبر أليشع.. وبعد تفاصيل كثيرة نقرأ: ثم صعد من هناك إلى بيت إيل.. وفيما هو صاعد فى الطريق، إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع.. فالتفتَ إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجتْ دبتان من الوعر وافترستا منهم إثنين وأربعين ولدًا.. وذهب من هناك إلى جبل الكرمل.. ومن هناك رجع إلى السامرة (الملوك الثانى - الإصحاح ٢)

وهل يمكن تصديق أنّ (ميشع) ملك موآب قدّم لملك إسرائيل مائة ألف خروف ومائة ألف كبش بصوفها (الملوك الثانى - الإصحاح ٣)؟ وما مغزى ذلك؟ وهل كان يجب أنْ يقص صوف الكباش قبل أنْ يهديها لملك إسرائيل؟ وما مغزى أنْ يكتب كاتب الوحى العبرى أنّ امرأة من نساء نبى الأنبياء قالت لأليشع: إنّ عبدك زوجى قد مات وأنت تعلم أنّ عبدك كان يخاف الرب.. فأتى المُرابى ليأخذ ولدىّ له عبدين.. فقال لها

أليشع: ماذا أصنع لكِ؟)) (الملوك: ٢ - الإصحاح ٤) وباقى ما ورد فى هذا الإصحاح لا قيمة له. إنما استوقفنى ما جاء فى بدايته: امرأة من نساء نبى الأنبياء، فهل للأنبياء نبى؟ ومن هو نبى الأنبياء؟ ولماذا لم يذكر اسمه، خاصة مع كثرة أسماء (الأنبياء) بداية من إبراهيم ويوسف وموسى... إلى داود وسليمان. وكيف تكون هذه السيدة من نساء نبى الأنبياء، وفى نفس الوقت تصف زوجها ب (العبد) خاصة وأنّ كلامها كان مُوجّهًا لأليشع، فهل أليشع مثله مثل الرب العبرى الذى أصرّ على وصف كل المؤمنين به ب (العبيد)؟ وما مغزى أنّ (المُرابى) أخذ ولديها لينضما إلى جيوش العبيد؟ وما مغزى أنّ أليشع تخلى عنها عندما قال لها: ماذا أصنع لك؟

وذكر كاتب الوحى العبرى أنّ الآراميين خرجوا غزاة فسبوا من أرض إسرائيل فتاة صغيرة، كانت بين يدى امرأة النعمان (رئيس جيش ملك آرام) فقالت الفتاة لمولاتها: يا ليت سيدى أنام النبى الذى فى السامرة، فإنه كان يشفيه من برصه.... فأرسل ملك آرام كتابًا إلى ملك إسرائيل... وأرسل له هدايا من الذهب والفضة. وقال له: الآن عند وصول هذا الكتاب إليك.. قد أرسلتُ لك نعمان عبدى فاشفه من برصه. فلما قرأ ملك إسرائيل الكتاب مزّق ثيابه (ثياب نعمان المريض بالبرص) وقال: ((هل أنا الله لكى أميت وأحيى)) عند هذا الحد يكون الكلام له درجة من المعقولية النسبية، لأنّ الشفاء من المرض لا يعنى القدرة على إحياء الموتى، ولكن المُدهش عندما أضاف ملك إسرائيل لأتباعه ((انظروا إنما جاء يتعرّض لى)) فلماذا أخذ الأمر على أنه سخرية منه؟ ومع مواصلة القراءة فإنّ أليشع رجل الله عندما سمع أنّ ملك إسرائيل مزّق ثياب الرجل المريض، أرسل إلى الملك يقول: لماذا مزّقتَ ثيابك (هنا يبدو اللبس، لأنّ المُفترض أنه مزّق ثياب المريض وليس ثيابه هو) ثمّ أضاف: ليأتِ إلى فيعلم أنه يوجد نبى فى إسرائيل.. إلخ (الملوك الثانى - الإصحاح ٥)

وذكر كاتب الوحى العبرى أنّ ملك آرام كان يُحارب إسرائيل. وأنّ أليشع النبى

الذى فى إسرائيل أخبر ملك إسرائيل بالأمور التى تكلـّـم بها، فقال اذهبوا وانظروا أين هو.. وأرسل إلى هناك خيلا ومركبات وجيشًا.. وجاءوا ليلا وأحاطوا بالمدينة.. فبكّر خادم رجل الله وقام وخرج.. وإذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات.. فقال غلامه له: آه يا سيدى كيف نعمل (الأدق أسلوبيًا ماذا نعمل) فقال لا تخف لأنّ الذين معنا أكثر من الذين معهم.. وصلى أليشع وقال يا رب افتح عينيه فيُبصر. فتح الرب عينىْ الغلام فأبصر. وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول أليشع.. ولما نزلوا إليه صلى أليشع إلى الرب وقال: ((اضرب هؤلاء الأمم بالعمى.. فضربهم بالعمى كقول أليشع)) وبعد تفاصيل كثيرة ومُملة نقرأ أنه بينما كان ملك إسرائيل جائزًا (= مُستوليًا) على السور، صرختْ امرأة إليه تقول: خلـّص يا سيدى الملك.. فقال لا يُخلـّصك الرب.. من أين أخلـّصك؟ (الأدق أسلوبيًا من ماذا أخلـّصك)؟ أمن البيدر أو من يد المعصرة (هكذا !!) ثمّ قال لها الملك: ما لك؟ فقالت: إنّ هذه المرأة (نقلة جديدة فى الحكى ومُفاجئة) قد قالت لى: هاتى ابنك فنأكله اليوم.. ثمّ نأكل ابنى غدًا.. فسلقنا ابنى وأكلناه.. ثمّ قالت لها فى اليوم الآخر: هاتى ابنك فنأكله.. فخبّأتْ ابنها.. فلما سمع الملك كلام المرأة مزّق ثيابه.. إلخ (الملوك الثانى – الإصحاح ٦)

فهل ما ذكره كاتب الوحى العبرى حقيقة أم من خياله المريض؟ فإذا كان حقيقة فلماذا مزّق الملك ثيابه؟ وهل بالفعل استطاع الرب العبرى أنْ يُنزل غضبه على باقى الشعوب (عدا شعبه المختار) لدرجة أنْ يُصيبه بالعمى؟ وما مدى مصداقية المرأة التى أكلتْ ابنها؟ بل إنها اشتركتْ مع امرأة أخرى فى (سلق الولد) أى وضعه فى ماء إلى درجة الغليان، فهل هذا حدث بالفعل؟ وهل توجد أم (مهما كانت قسوتها وبشاعتها) تفعل ذلك؟

ومن عجائب الديانة العبرية أنْ نقرأ فى العهد القديم أنّ أليشع أحيا الميت. وبغض النظر عن الميتافيزيقا، فإنّ السؤال الذى يتبادر إلى العقل الحر هو: هل حدث ذلك فعلا؟

وكيف حدث، خصوصـًا أنّ القدرة على إحياء الميت نُسبتْ للمسيح، ومع مراعاة أنّ المسيح كان بعد أليشع هذا؟ ولماذا التركيز على منح تلك الشخصيات العبرية، الكثير من القدرات الخاصة، تلك القدرات التى تعتبر من (خوارق الطبيعة)؟ وما الهدف من كل تلك الخوارق؟

وفى نفس الحكاية فإنّ الملك أعطى لأم الطفل الذى أحياه أليشع ((خصيًا)) فما مغزى ذلك؟ ولماذا (خصى) بالذات؟ وهذا السؤال ليست له إجابة، وعلى العقل الحر أنْ يتعامل مع تلك النصوص على أنها من (عجائب) التراث العبرى، ذلك التراث المملوء بحكايات عن الملوك العبرانيين والعرب الذين كانوا (يخصون عبيدهم) من أجل حراسة زوجاتهم.

وبعد ذلك ذهب أليشع إلى دمشق. وكان يتهدّد ملك آرام المرض. فقيل له: قد جاء رجل الله إلى هنا. فقال الملك لحزائيل: خذ بيدك هدية واذهب لاستقبال رجل الله. واسأل الرب قائلا ((هل أشفى من مرضى هذا؟ فذهب حزائيل لاستقباله. وأخذ هدية بيده. ومن كل خيرات دمشق حمل أربعين جملا. وجاء ووقف أمامه وقال: إنّ ابنك ملك آرام أرسلنى إليك قائلا: هل يتم شفائى من مرضى؟ فقال له أليشع: اذهب وقل له شفاءً تُشفى. وقد أرانى الرب أنه يموت موتًا)) (فكيف يُمكن التوفيق بين قوله أنه سيشفيه، ثمّ يقول أنه سيموت؟) ثمّ يواصل كاتب الوحى العبرى سرد ما يراه فأضاف ((فبكى رجل الله. فقال حزائيل: لماذا يبكى سيدى؟ فقال: لأنى علمتُ ما ستفعله ببنى إسرائيل من الشر. فإنك تُطلق النار فى حصونهم. وتقتل شبابهم بالسيف وتُحطّم أطفالهم وتشق حواملهم. فقال حزائيل: ومن هو عبد الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم؟.. إلخ) (الملوك الثانى – الإصحاح ٨)

فإذا كان الأمر كذلك، وأنّ الرب العبرى كان على علم بأنّ ملك آرام سوف يفعل ببنى إسرائيل الشر، ويقتل شبابهم بالسيف إلى آخر ما ذكره كاتب الوحى، فلماذا وافق (من

حيث المبدأ) على أنْ يذهب لشفاء ملك آرام؟ وهل يُـمكن تفسير هذا التناقض؟ أم على العقل الحر أنْ يتعامل مع تلك (الحكايات) على أنها تكشف كم التناقض فى العهد القديم؟

ومن عجائب العهد القديم أنّ أليشع (النبى) دعا واحدًا من (بنى الأنبياء) وقال له: خذ قنينة الدهن بيدك واذهب إلى جلعاد، وإذا وصلتَ إلى هناك فانظر (ياهو بن يهوشافاط بن نمشى) وصب على رأسه قنينة الدهن. وقل له: هكذا قال الرب قد مسحك ملكًا على إسرائيل)) وبعد أنْ قال له ذلك، إذا بالكاتب العبرى يكتب شيئًا عجيبًا فأضاف – وبدون أية فواصل – ((ثم افتح الباب واهرب ولا تنتظر)) فكيف (مسحه = عيّنه) الرب ملكًا على إسرائيل، ثم يأمره بالهرب؟ أليس ذلك كله يؤكد التناقض فى العهد القديم؟ ثم يزداد التناقض عندما أضاف الكاتب العبرى: قال له إله إسرائيل قد مسحك ملكًا على شعب الرب إسرائيل.. فتضرب بيت أخاب سيدك وانتقم لدماء عبيدى الأنبياء (هكذا يكون – حتى الأنبياء – عبيد عند ذاك الرب العبرى) ثم يواصل كاتب الوحى كلامه فأضاف: وأما ياهو فخرج إلى عبيد سيده فقيل له أسلام؟ لماذا جاء هذا المجنون إليك؟ فقال لهم: أنتم تعرفون الرجل وكلامه. فقالوا: كذب.. فقال بكذا وكذا كلّمنى قائلا هكذا قال الرب قد مسحتك ملكًا على إسرائيل (الملوك الثانى – الإصحاح ٩)

وللتأكيد على شيوع (ظاهرة الخصيان) أضاف كاتب الوحى العبرى أنّ (ياهو) ذهب إلى يزرعيل التى كحّلتْ عينيها وزيّنتْ رأسها. وعند دخول ياهو قالت: أسلام لِزمرى قاتل سيده؟ فرفع وجهه وقال من معى؟ فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان. فقال اطرحوها. فسال دمها على الحائط وداستها الخيل)) وبعد أنْ فعل فعلته الشنيعة أضاف كاتب الوحى ((فدخل وأكل وشرب.. ثم قال: افتقدوا هذه الملعونة وادفنوها لأنها بنت ملك. ولما مضوا ليدفنوها لم يجدوا منها إلاّ الجمجمة والرِجليْن وكفىْ اليديْن. فرجعوا وأخبروه. فقال: إنه كلام الرب الذى تكلّم به عن يد عبده إيليا قائلا: فى حقل

يزرعيل تأكل الكلاب لحم إيزابل. وتكون جثة إيزابل كدمنة على وجه الحقل فى قسم يزرعيل حتى لا يقولوا هذه إيزابل)) (الملوك الثانى - الإصحاح ٩) والسؤال الذى يتغافل عنه (المؤمنون) بالديانة العبرية هو: لماذا صوّر كاتب الوحى العبرى (ربه) بهذه الصورة الدموية البشعة؟ وأنّ التعذيب والقسوة وصلتْ لدرجة صدور الحكم الإلهى بأنْ تأكل الكلاب لحم إيزابل؟ أليستْ تلك القسوة من صفات بعض الحكام من البشر، مثلما كان يفعل الرومان فى سنوات اضطهاد المسيحيين، الذين كانوا يجتمعون سرًا لنشر دعوتهم؟ وهى القسوة التى استمرّت طوال التاريخ البشرى، ومارسها النازيون والأمريكيون.. إلخ؟ فلماذا ألصق كتّاب العهد القديم تلك القسوة ب (ربهم)؟

ومن عيوب الأسلوب فى السرد العبرى أنْ نقرأ ((فى تلك الأيام ابتدأ الرب يقص إسرائيل فضربهم حزائيل فى جميع تخوم إسرائيل من الأردن لجهة مشرق الشمس.. إلخ)) (الملوك الثانى - الإصحاح ١٠) فما معنى أنّ الرب (يقص إسرائيل)؟

وفى السنة الثامنة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا ملك زكريا بن بريعام على إسرائيل فى السامرة ستة أشهر. وعمل الشر فى عينىْ الرب، كما عمل آباؤه... وفى السنة الخمسين لعزريا ملك يهوذا ملك فقحيا بن مخيم على إسرائيل فى السامرة سنتيْن. وعمل الشر فى عينىْ الرب (الملوك الثانى - الإصحاح ١٥) فلماذا تكرّر تعبير أنّ الملوك ((عملوا الشر فى عينىْ الرب))؟ وهل لهذا التعبير الذى تكرّر كثيرًا فى معظم أسفار العهد القديم، دلالة غير أنّ هؤلاء الملوك كانوا ضد الرب العبرى، رغم أنهم (كما هو مُفترض) من أبناء تلك الديانة العبرية؟

وفى السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ملك هوشع بن أيلة فى السامرة على إسرائيل تسع سنين. وعمل الشر فى عينىْ الرب.. ووجد ملك آشور فى هوشع خيانة، لأنه لم يدفع (الجزية) إلى ملك آشور، حسب كل سنة، فقبض عليه ملك آشور وأوثقه فى السجن. وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين. وفى السنة

التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوزان.. إلخ وكان أنّ بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر، وعبدوا آلهة أخرى.. وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل.. وعمل بنو إسرائيل سرًا ضد الرب إلههم أمورًا ليست مُستقيمة.. وعملوا أمورًا قبيحة لإغاظة الرب (هكذا الرب مثل البشر تتم إغاظته !! لمجرد أنهم عبدوا الأصنام وليس لأنهم قتلوا غيرهم من الشعوب) فقال لهم الرب: ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى وفرائضى حسب كل الشريعة)) ولكنهم عادوا وعملوا الشر فى عينى الرب لإغاظته ((فغضب الرب جدًا على إسرائيل ونحاهم من أمامه إلاّ سبط يهوذا وحده)) وبعد ذلك أضاف كاتب الوحى – وبدون أية فواصل – ((ويهوذا أيضًا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم.. فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلّهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه.. فنحّى الرب إسرائيل من أمامه.. فسُبى إسرائيل من أرضه إلى آشور. وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضًا عن بنى إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها.. ولكنهم لم يتقوا الرب.. فأرسل عليهم السباع فكانت تقتل منهم (الكثير) فأمر ملك آشور قائلا: ابعثوا إلى هناك واحدًا من الكهنة ليُعلّمهم قضاء إله الأرض. فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن فى بيت إيل وعلّمهم كيف يتقون الرب))

فهل (تقوى الرب) تحتاج إلى أحد الكهنة لكى يتولى (تدريس) تلك التقوى لبنى إسرائيل؟ وإذا كانت الإجابة تستعصى على العقل الحر، فإنّ الأمر لا يخرج عن أنه من عجائب الديانة العبرية. ثم يواصل كاتب الوحى العبرى فى سرد وصايا الرب قائلا: اتبعوا الشريعة التى أمر بها الرب بنى يعقوب الذى جعل اسمه إسرائيل.. وقطع الرب معهم عهدًا وأمرهم قائلا لا تتقوا آلهة أخرى ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها ولا تذبحوا لها.. إنما اتقوا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر بقوة عظيمة وذراع ممدودة.. إلخ (الملوك الثانى – الإصحاح ١٧)

فى هذا الإصحاح فإنّ كاتبه أكّد على: ١- أنّ ملك آشور سبى بنى إسرائيل ٢- أنّ بنى إسرائيل ((عملوا ضد الرب)) رغم كل ما قدّمه ذاك الرب لصالح بنى إسرائيل، وكأننا أمام علاقة (حب) مُلتبسة بين الرب العبرى وشعبه المختار ٣- التركيز (على الوحدانية) التى استمرّت وانتقلتْ إلى الشعبتيْن التاليتْن من الديانة العبرية (المسيحية والإسلام) وهى المُعادية للتعددية، ومع مراعاة أنّ الوحدانية = الأحادية وتسبّبتْ فى الكثير من الكوارث للبشر ٤- استمرّتْ علاقة الحب المُلتبسة بين الرب العبرى وشعبه رغم توعده بأنه سوف (يذل كل نسل إسرائيل) ولكن ذاك الرب المُنحاز لهؤلاء البدو الرعاة الذين اعتدوا على غيرهم من الشعوب، وغزوا أراضيهم واستولوا على خيراتهم، تراجع عن وعده وسيعود ليقف معهم من جديد، كما ورد فى باقى أسفار العهد القديم.

***

الفهـــرس

***